{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَاب }
البقرة:269

العُرْوَةُ الوُثْقَى

مدخل إلى علم الحكمة الاسلامية

د. رواء محمود حسين

ناشري

رواء محمود حسين

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.

www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.

نشر إلكترونيًّا في جماد أول، ١٤٣٤/ مارس، ٢٠١٣.

يمنع منعًا باتًّا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

التدقيق اللغوي: سعيد الدوسري

الإخراج الفني: شيماء رضوان

تصميم الغلاف: أحمد كاظم

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة : ٢٦٩]

العروة الوثقى:
مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية

رواء محمود حسين

محتويات الكتاب

الإهداء ٤

المقدّمة ٥

- الفصل الأول: التعريف بعلم الحكمة الإسلامية..... ٩

المبحث الأول: المعنى اللغوي للحكمة..... ١٠

المبحث الثاني: الحكمة،، مقاربات اصطلاحية ومفاهيم عامة ١٩

المبحث الثالث: علم الحكمة الإسلامية،، المفهوم الدقيق..... ٣١

- الفصل الثاني: الأصول العقائدية لعلم الحكمة الإسلامية (التوحيد، النبوة، المعاد)..... ٤٢

المبحث الأول: حكمة التوحيد ،، العبادة لله والاستعانة به وحده سبحانه ٤٣

المبحث الثاني: حكمة النبوة،، طاعة الأنبياء من محبة الله سبحانه وطاعته ٥٦

المبحث الثالث: يوم القيامة ،، الاستعداد ليوم المعاد..... ٦٨

- الفصل الثالث: علم الحكمة الإسلامية في مواجهة مشكلات الإنسان والتاريخ والعالم وقضايا العصر ٨٢

المبحث الأول: البصيرة،، الحكمة الإسلامية ليست هي الفلسفة..... ٨٣

المبحث الثاني: أفول الوثنية،، نحو رؤية توحيدية للتاريخ ١٠٢

المبحث الثالث: ما الإنسان؟،، الرد على الهيومانيزم ١٢٠

المبحث الرابع: مكارم الأخلاق،، ومسؤولية الالتزام..... ١٤٢

الخاتمة..... ١٦٠

قائمة المصادر والمراجع..... ١٦٥

الإهداء

إلى معلم الحكمة الإسلامية الأول

وسيد الحكماء والأنبياء

رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وإخوانه من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين

الذين علموا الإنسانية معنى الحكمة الإسلامية

وأرشدوهم إلى الصراط المستقيم

أي طريق العبودية الحقة لله رب العالمين

وإلى من آمن بالأنبياء والمرسلين

واتّبعهم وصدّق بهم

واستمسك بطريقهم

أهدي كتابي هذا...

المقدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }، [آل عمران: ١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد[١]:

[١] ما تقدم هو خطبة الحاجة سنة نبوية، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها لأصحابه. انظر:النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون تاريخ، باب: كيفية

يبزغ على العالم فجر جديد، وعلى العقل الإنساني مرشد للصراط المستقيم بعد أن أريد لهذا العقل أن يغرق في ظلمات الجهل، وأن ينحط من جديد إلى ضلالات الجاهلية.

إنه علم الحكمة الإسلامية، هذا العلم الذي يدعو إلى عبودية الله سبحانه، وتوحيده، والإخلاص له جل شأنه، وترك عبادة ما سواه من شتى الأرباب. يدعو هذا العلم إلى الإيمان بالله سبحانه والكفر بالطاغوت (الشيطان المريد) ومن هو في حزبه.

ويهتدي هذا العلم بالفرقان (القرآن العظيم) وبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيدعو إلى الإيمان بالأنبياء وأتباعهم صلوات الله وسلامه عليهم، وفي طليعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤكد هذا العلم أن هذا هو الصراط المستقيم، وهو الذي يهدي الإنسان إلى الحق والخير والعدل والقيم والجمال في هذه الحياة الدنيا، وينجيه في الآخرة، إذا بعث الناس ليوم عظيم.

الخطبة، حديث (١٤٠٤)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص ١٦٥، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ، (٢١١٨)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ٧/ ١٦٤، غير مرفوع، الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٨/٧، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ، ص٣٥٥، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ص ٢٥٥، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٣.

ومن ثم فهو يعيد تهيئة الإنسان ويدفعه باتجاه الاستعداد ليوم المعاد، ليوم العرض على الله سبحانه وتعالى.

كما يهدف هذا العلم أن يكون بديلاً إسلامياً خالصاً عن الفلسفة التي انتجها العقل الإنساني غير المهتدي بكتاب الله سبحانه ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (منذ العصور القديمة، مروراً باليونان والفلسفات الوسيطة والحديثة والمعاصرة إلى اليوم)، وأن يلتحق بجملة العلوم الإسلامية الأخرى من التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والتاريخ وغيرها. وأن يقيم الحجة على العقل الإنساني الذي يعد الفلسفة القائد للعقل الإنساني، فهذا العلم يجعل القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائد والموجه للعقل الإنساني.

فقبل أكثر من ألف ومائتي عام اكتشف الإمام الشافعي علم أصول الفقه، فكان هذا العلم علماً إسلامياَ خالصاً، اشتغل على اشتقاق المفاهيم الإسلامية من الكتاب والسنة من أجل دفع الانسان إلى العمل، (أي فيما يتعلق بالفقهيات العمليات)، لكن علم الحكمة الإسلامية اليوم يشتغل على استخراج المفاهيم الإسلامية من الكتاب والسنة أيضاً ولكن من أجل الإيمان والعمل كليهما، أي (من أجل الإيمانيات والعقليات والعمليات). فهو يهدف إلى أن يؤسس القواعد الدقيقة التي يمكن للعقل المؤمن أن يستخلص بموجبها الأحكام المتعلقة بالمسائل الإيمانية والعقلية والعملية من الكتاب والسنة.

إنه (علم أصول الحكمة الإسلامية) هذه المرة، بعد أن عرف المسلمون والعالم فيما سبق (علم أصول الفقه).

أردت بهذا العلم وجه الله سبحانه أولاً وآخراً، ثم أن يكون العلم الإسلامي الخالص المعني بضبط وتأصيل اكتشاف الكنوز المفاهيمية والقيمية والأصولية والحكمية والعقائدية والتفسيرية والتأويلية والفقهية والأصولية والروحية والأخلاقية والسلوكية والظاهرية والباطنية والماضوية والحاضرة والمستقبلية والربانية والإنسانية والأخروية والعلمية والأممية والنفسانية وغيرها التي اشتملت عليها مشكاة علوم القرآن الحكيم والسنة النبوية وما تعلق بهما وكان على مثالهما في أي زمان وأي مكان.

أسأل الله سبحانه أن يكتب هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المؤلف ومن سمع وأطاع واتّبع وعمل بالحكمة الإسلامية { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

رواء محمود حسين

الأحد ٢٠ رجب ١٤٣٣ ه – ٢٠١٢/٦/١٠ مـ

الفصل الأول

التعريف بعلم الحكمة الإسلامية

المبحث الأول

المعنى اللغوي للحكمة

من أجل الاقتراب من فهم معنى الحكمة سنذهب إلى بيان المعنى اللغوي ومن ثم الاصطلاحي:

بيّن الخليل بن أحمد الفراهيدي أن الحِكمة ترجع إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم. فإذا أحكمت التجارب إنساناً قيل: إنه حكيم.[1] وهذا يعني أن الحكمة، بهذا المعنى تحديداً، مكتسبة من التجارب، وأن التجربة مصدر من مصادر المعرفة الإنسانية.

وتأتي الحكمة لغوياً بمعنى: المنزلة والقَدْر، فعن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: "إنّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حَكَمَتَهُ، وقال له: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبَّر وعتا، وَهَصَهُ

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): "كتاب العين"، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ، ٣ / ٦٦. وقارن: "الجراثيم"، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق محمد جاسم الحميدي، قدم له الدكتور مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، بدون تاريخ، ١٣٦/٢.

الله إلى الأرض، وقال له: اخسأ خسأكَ اللهُ، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير".[1]

[1] أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ): "الزاهر في معاني كلمات الناس"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢، ١/ ٣٩٦، وقارن مع ابن الجوزي (٥٩٧ هـ): "غريب الحديث"، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٠٥ – ١٩٨٥، ١ / ٢٣٢. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلاه أخرجه ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) في مصنفه، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٠٩ هـ، ٩٦/٧، وانظر:أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ): "الزهد"، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط ١، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ص ٨٥، و الخرائطي (ت ٣٢٧ هـ): "مساوئ الأخلاق ومذمومها"، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص ٢٦٤، وابن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ): "الإبانة الكبرى"، جـ ٦: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ، ص ١٤٩، أبو بكر البيهقي: "الآداب"، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ص ٨١، وأبو بكر البيهقي: "المدخل الى السنن الكبرى"، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الاسلامي – الكويت، بدون تاريخ، ص ٣٥٨، والبيهقي: "شعب الايمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، ٤٥٤/١٠، والبغوي (ت ٥١٦ هـ): "شرح السنة"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الاسلامي – دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ١٧١/١٣، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ): "جزء حديث سفيان بن عيينة"، برواية: أبي يحيى زكريا بن يحيى بن أسد المروزي (ت ٢٧٠ هـ)، تحقيق: مسعد بن عبد الحميد السعدني، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ص ٥٨، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): "الأمالي المطلقة"، تحقيق حمدي بن عبد المجيد بن اسماعيل السلفي، ط١، المكتب الاسلامي – بيروت، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥م، ص ٨٨.

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما من آدمي إلاّ وفي رأسِهِ حَكَمَةٌ بيدِ ملكٍ، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك الذي يليه: ضع حكمته"[1]. قال إبراهيم: "فمعنى قوله: في رأسه حَكَمَةٌ مَثَلٌ"، قال: "والحكمة: حديدة في اللجام، مستديرة على الحنك، تمنع الفرس من الفساد والجَري". قال إبراهيم: وحدثنا يوسف بن البهلول عن ابن إدريس عن ابن إسحاق عن الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس قال: "إنِّي لَمَعَ رسول الله يوم حُنين آخِذٌ بحَكَمَةِ فرسِهِ". قال إبراهيم: "فلما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة، وكان الحنك متصلاً بالرأس، جعلها رسول الله تمنع مَنْ هي في رأسه من الكِبْر، كما تمنع الحكمة الدابة من الفساد والجري". وأنشدنا إبراهيم:

---

[1] الحديث أخرجه البزار (ت ٢٩٢ هـ): "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار"، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، ط١، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، وقال البزار: " وهذا الحديث لا نعلم رواه عن علي بن زيد، عَن سَعِيد، عَن أبي هُرَيرة إلاَّ المنهال بن خليفة"، ٢٦٠/١٤، وانظر: أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): "المعجم الكبير"، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٢/ ٢١٨، وابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ): "المعجم"، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ص ٣٢٨، و ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ): "الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك"، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، ص ٧٩، والبيهقي: "شعب الإيمان"، ١٠/ ٤٥٧، والجوهري (ت ٤٥٤ هـ): "مجلس في التواضع"، تحقيق الدكتور حسين آيت سعيد، ط١، دار البشائر الاسلامية [ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر (١٠٦)]، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، ص ٣٢، ٣٦، ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): "مدح التواضع وذم الكبر"، تحقيق، محمد عبد الرحمن النابلسي، ط١، دار السنابل. سوريه – دمشق، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ٣٤، وحكم الألباني على الحديث بأنه يرقى إلى درجة الحسن إن شاء الله تعالى، ينظر: الألباني (ت ١٤٢٠ هـ): "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، جـ ١ – ٤: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، ٢/ ٧٦.

(القائدُ الخيلَ منكوباً دوابِرُها ... محكومةً حكماتِ القِدِّ والأَبَقا)

وقال: "يقال: فرس محكومة، والذي عليه أهل اللغة: محكومة. وقد يقال: مُحْكَمة".[1]

والحُكم: الحكمة، والحكيم: صاحب الحكمة.[2]

وقال الأزهري في تفسير قوله تعالى: { يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً } (الأنعَام: ١٢٥): "وَقد حَرِجَ صَدْرُه أَي ضَاقَ فَلم يَنْشَرِح لخِير. وَرجل مُتَحَرِّج: كافٌّ عَن الإِثْم". نقل عن الفَرّاء قوله: قَرَأَهَا ابْن عَبَّاس وَعمر { ضَيِّقاً حَرَجاً } وَقرأَهَا النَّاس (حَرِجاً) ، قَالَ: "والحَرَج فِيمَا فَسّر ابنُ عَبَّاس هُوَ المَوْضِع الْكثير الشَّجَر الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الرّاعِيَة"، قَالَ: "وَكَذَلِكَ صَدْرُ الكافِرِ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الحِكْمَةُ". وَقَالَ الزّجاج: "الحَرَجُ فِي اللُّغَة: أَضْيَق الضِّيق، وَمَعْنَاهُ أَنه ضَيِّقٌ جِدّاً، ومَنْ قَالَ: رَجُل حَرَجُ الصَّدْرِ فَمَعْنَاه ذُو حَرَج فِي صَدره، ومَنْ قَالَ: حَرِج جَعَلَه فَاعِلاً، وَكَذَلِكَ رَجُل دَنَفٌ ذُو دَنَفٍ ودَنِفٌ نَعْتٌ".٣ وهذا يعني، وفي ضوء تفسير ابن عباس المتقدم للآية، أن الحكمة لا تكون إلا في قلب المؤمن.

---

[1] الأنباري: "الزاهر"، ٣٩٧/١.

[2] أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت ٣٥٠هـ): "معجم ديوان الادب"، تحقيق دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ١٥٩/١– ٤٢٢.

[3] الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "تهذيب اللغة"، تحقيق، محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، ٨٤/٤، وقارن: ابن منظور (ت ٧١١ هـ): "لسان العرب"، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ، ٢٣٤/٢، ٣٥٦.

وقال الجوهري: " الحُكْمُ: مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ أي قضى. وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه. والحُكْمُ أيضاً: الحِكمَة من العلم. والحَكيمُ: العالم، وصاحب الحكمة. والحَكيم: المتقِن للأمور".[1]

وقال ابن فارس: "والمحكمُ: المجربُ المنسوب إلى الحكمة. قال طرفة: ليت المحكم والموعوظَ قصوتكُما، أرادَ به الشيخ المنسوب إلى الحكمةِ".[2]

وقال القاضي عياض في مادة (ح ك م): " وَقَوله: "وَبِك حاكمت"[3] يَعْنِي: أَعدَاء الدّين، أَي لَا أرْضى إِلَّا بحكمك. مثل قَوْله: { أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا } [الأنعام: ١١٤]، وَقد يكون أَن أَمْرِي كُله فِي ذاتك ونصرة دينك، كَمَا قَالَ وَبِك خَاصَمت. قَوْله: "الْحِكْمَة يَمَانِية"،[4] الْحِكْمَة عِنْد الْعَرَب هِيَ مَا منع من الْجَهْل. وَبِذَلِك سمي الْحَاكِم لمَنعه

---

[1] الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ١٩٠١/٥.

[2] أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "مجمل اللغة لابن فارس"، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ٢٤٦/١. وقارن: ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٩١/٢، و الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ١ / ٢٠٦، و الزمخشري: " الفائق في غريب الحديث والأثر"، تحقيق علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة – لبنان، بدون تاريخ، ٣٠٢/١،

[3] الحديث عند البخاري: "وإليك حاكمت"، ينظر: محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ٤٨/٢، حديث (١١٢٠).

[4] نفسه، ١٧٩/٤، حديث (٣٤٩٩).

الظَّالِم، وَمِنْه فِي الحَدِيث الْآخرَانِ: "من الشّعْر لحكمة". وَيرى حكماً أَي مَا يمْنَع من الْجَهْل وينفع وَينْهى عَنهُ، وَالْحكم وَالْحكمَة بِمَعْنى وَاحِد. وَقد قيل ذَلِك فِي قَوْله: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم: ١٢]. وَقيل: حِكْمَة أَي عدلاً يدعو إِلَى الْخَيْر والرشد ومحامد الْأَخْلَاق. وَقيل: الْحِكْمَة إِصَابَة القَوْل من غير نبوة، وَقيل ذَلِك فِي قَوْله: "اللَّهُمَّ علمه الْحِكْمَة".[1] وَقيل: الْحِكْمَة: الْعلم بِالدّينِ. وَقيل: الْعلم بِالْقُرْآنِ. وَقيل: الْفِقْه فِي الدّين. وقيل: الْحِكْمَة الخشية. وَقيل: الْفَهم عَن الله فِي أمره وَنَهْيه. وَهَذَا كُله يَصح فِي معنى قَوْله: "الْحِكْمَة يَمَانِية"، وَقَوله: "علمه الْحِكْمَة" لَا سِيمَا مَعَ قَوْله: "الْفِقْه يمَان"، وَقد قيل: الْحِكْمَة النُّبُوَّة، وَقيل هَذَا فِي قَوْله: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ }.[2]

وقال ابن الأثير الجزري في مادة (حَكَمَ): "- فِي أسماء اللهِ تَعَالَى «الحَكَم والْحَكِيمُ» هُمَا بِمَعْنَى الحَاكِم، وَهُوَ الْقَاضِي. والحكيم فَعِيلٌ بِمَعْنَى فاعلٍ، أَوْ هُوَ الَّذِي يُحْكِم الْأَشْيَاءَ ويُتْقِنُها، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ. وَقِيلَ: الحَكِيم: ذُو الحِكْمَة. والحِكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أفضلِ الْأَشْيَاءِ بِأَفْضَلِ الْعُلُومِ. وَيُقَالُ لِمَنْ يُحسِنُ دَقَائِقِ الصِّناعات ويُتْقِنُها: حَكِيم. وَمِنْهُ حَدِيثُ صِفَةِ الْقُرْآنِ «وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيم» أَي الحَاكِم لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ، أَوْ هُوَ المُحْكَم الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِراب، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ، أُحْكِمَ فَهُوَ مُحْكَم.. وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ «قرأتُ المُحْكَم عَلَى عَهْد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» يُرِيدُ المُفَصَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ مِنْهُ شيءٌ. وَقِيلَ: هُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَشابهاً؛ لِأَنَّهُ أُحْكِمَ بَيَانُه بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَفْتَقِر إِلَى غَيْرِه. وَفِي حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ «أَنَّهُ

[1] نفسه، ٥/٢٧، حديث (٣٧٦٥).

[2] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ): "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ، ١ / ١٩٤.

كَانَ يُكَنَّى أَبَا الحَكَم، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَم، وكنَّاه بِأَبِي شُرَيْحٍ» . وَإِنَّمَا كَرِه لَه ذَلِكَ لِئَلَّا يُشَارِكَ اللهَ تعالى فِي صِفته.. وَفِيهِ «إِنَّ مِنَ الشِّعْر لحكمة» أَيْ إِنَّ مِنَ الشِعر كَلَامًا نَافِعًا يَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ والسَّفَه، ويَنهَى عَنْهُمَا. قِيلَ: أَرَادَ بِهَا المَوَاعِظ وَالْأَمْثَالَ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ. والحُكْم: العِلْمُ وَالْفِقْهُ وَالْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ مَصْدَرُ حَكَمَ يَحْكُم. ويُروَى «إِنَّ مِنَ الشِّعر لَحِكْمَة» وَهِيَ بِمَعْنَى الحُكْم.

وَمِنْهُ الْحَدِيث «الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعِلُه» . وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «الخلافةُ فِي قُرَيْشٍ، والحُكْمُ فِي الْأَنْصَارِ» خَصَّهم بالحُكْم؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ فِيهِمْ: مِنْهُمْ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، وأُبَيّ بْنُ كعبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَغَيْرُهُمْ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «وبكَ حَاكَمْت» أَيْ رَفَعْتُ الحُكم إِلَيْكَ فَلَا حُكم إلاَّ لَكَ. وَقِيلَ: بكَ خاصمْتُ فِي طَلَب الحُكم وإِبْطالِ مَنْ نازَعَني فِي الدِّينِ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الحُكْم. وَفِيهِ «إِنَّ الجنةَ للمُحَكَّمِين» يُرْوَى بِفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِهَا، فَالْفَتْحُ: هُمُ الَّذِينَ يَقَعُون فِي يَدِ العَدوّ فيُخَيَّرُون بَيْنَ الشِّرْكِ والقتْل فَيَخْتَارُونَ الْقَتْلَ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابٍ إِذَا قَدَعْتَهُ وكَفَفْتَهُ.. وَفِي الْحَدِيثِ «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ حَكَمَة» . وَفِي رِوَايَةٍ «فِي رَأْسِ كُلِّ عبدٍ حَكَمَة، إِذَا هَمَّ بِسَيّئة فإِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقْدَعَهُ بِهَا قَدَعَه» الحَكَمَة: حَدِيدَةٌ فِي اللِّجام تَكُونُ عَلَى أَنْف الفَرَس وَحَنَكِهِ، تَمْنَعُهُ عَنْ مُخَالَفَةِ رَاكِبِهِ. وَلَمَّا كَانَتِ الحكَمَةُ تَأْخُذُ بِفَم الدَّابَّةِ. وَكَانَ الحَنَكُ مُتَّصلا بِالرَّأْسِ جعلَها تَمْنَعُ مَن هِيَ فِي رَأْسِهِ، كَمَا تَمنَع الحَكَمَةُ الدَّابَّةَ. وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ رَفَعَ اللهُ حَكَمَتَه» أَيْ قَدْرَه ومَنْزِلَته، كَمَا يُقَالُ: لَهُ عِنْدَنَا حكَمَةٌ: أَيْ قَدْرٌ. وَفُلَانٌ عَالِي الْحَكَمَةِ. وَقِيلَ: الحَكَمَة مِنَ الْإِنْسَانِ: أَسْفَلُ وَجْهِهِ، مُستعار مِنْ مَوْضع حَكَمَةِ اللِّجام، ورَفْعُها كِنَايَةٌ عَنِ الإِعْزاز، لأَنَّ مِن صِفة الذَّلِيل تَنْكِيسَ رَأْسِهِ.. وَمِنْهُ

الْحَدِيثُ «وَأَنَا آخِذٌ بحَكَمَة فرَسه» أَيْ بِلِجَامِه.. وَفِي حَدِيثِ النَّخَعِيّ «حَكِّمِ الْيَتِيمَ كَمَا تُحَكِّم وَلَدك» أَي امْنَعه مِنَ الْفَسَادِ كَمَا تَمْنَعُ وَلَدَكَ. وَقِيلَ: أرادَ حَكِّمه فِي مَالِهِ إِذَا صَلَحَ كَمَا تُحَكِّم وَلَدَكَ.. وَفِيهِ «فِي أَرْش الجِرَاحَات الحُكُومَة» يُرِيدُ الجِراحَات الَّتِي لَيْسَ فِيهَا دِيَةٌ مقدَّرة. وَذَلِكَ أَنْ يُجْرَحَ فِي مَوْضع مِنْ بَدَنْه جرَاحَةً تَشِينه فيَقِيسَ الْحَاكِمُ أَرْشَها بِأَنْ يَقُولَ: لَوْ كَانَ هَذَا الْمَجْرُوحُ عَبْدًا غَيْرَ مَشِينٍ بِهَذِهِ الْجِرَاحَةِ كَانَتْ قِيمَتُهُ مِائَةً مَثَلًا، وقيمتهُ بَعْدَ الشَّين تِسْعُونَ، فَقَدْ نَقَص عُشْرُ قِيمَتِهِ، فيُوجبُ عَلَى الجارِح عُشْرُ دِية الحُرِّ لِأَنَّ الْمَجْرُوحَ حُرٌّ".[1]

ويرى الفيومي أن: "الْحَكَمَةُ وِزَانُ قَصَبَةٍ لِلدَّابَّةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُذَلِّلُهَا لِرَاكِبِهَا حَتَّى تَمْنَعَهَا الْجِمَاحَ وَنَحْوَهُ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْحِكْمَةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَرْذَالِ".[2]

والحكمة: العلم والعدل والحلم. وفي الحكمة الواردة في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ } [البقرة: ٢٦٩] قولان: قيل: هي النبوة، وقيل: القرآن، وكفى بالقرآن أن يكون حكمة لأن الأمة الإسلامية قد أصبحت أمة حكيمة بعد نزول القرآن، أما الحكمة الواردة في قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ }

[1] ابن الاثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ): "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٤١٨ – ٤٢١، وقارن: الرازي (ت ٦٦٦ هـ) : "مختار الصحاح"، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٧٨، وابن منظور: "لسان العرب"، ١٤٠/١٢.

[2] الفيومي (ت٧٧٠ هـ): "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ١٤٥/١.

[الزخرف: ٦٣]، فالحكمة هنا الإنجيل الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام. ونصل إلى معنى مهم في السياق ذاته فحَكَمَ الشَّيْء وأحكمَهُ، كِلَاهُمَا بمعنى واحد، أي: مَنعه من الْفساد. وفي قَوله تَعَالَى: { مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ } [آل عمران : ٧] روي عَن ابْن عَبَّاس أنه قَالَ: "المحْكَماتُ الْآيَات الَّتِي فِي آخر الْأَنْعَام وَهِي قَوْله تَعَالَى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } [الأنعام: ١٥١] إِلَى آخر هَذِه الْآيَات". وَقَالَ آخرون: "معنى {مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ} أَي أُحكمَتْ فِي الإبانَة، فَإِذا سَمعها السَّامع لم يحْتَج إِلَى تَأْوِيلها لبيانها، نَحْو مَا أنبأ الله بِهِ من أقاصيص الْأَنْبِيَاء وَنَحْوهَا". [١]

[١] ابن سيده: "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٣/٥٠ – ٥١.

المبحث الثاني

الحكمة،، مقاربات اصطلاحية ومفاهيم عامة

ومن الممكن أن نلاحظ أن مصادر الحكمة متنوعة، ففِي حَدِيث الإمام عَليّ رَضِي الله عَنهُ أنه قَالَ: "خُذ الْحِكْمَة أَنى أتتك فَإِن الْكَلِمَة من الْحِكْمَة تكون فِي صدر الْمُنَافِق [فتلجلج] حَتَّى تسكن إلى صَاحبهَا". يقول ابن قتيبة في شرح الحكمة العلوية المذكورة : "يُرِيد: إن الْكَلِمَة قد يعلمهَا الْمُنَافِق فَلَا تزَال تتحرك فِي صَدره فَلَا تسكن حَتَّى يسْمعَهَا الْمُؤمن مِنْهُ أَو الْعَالم فيثقفها فتسكن فِي صَدره إِلَى أخواتها من كلم الْحِكْمَة".[1]

الحكمة: "ما منع الجهل"، والحكم الوارد في قوله تعالى: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [سورة مريم: ١٢].

عرّف الجرجاني الحكمة بالقول: "علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي"، وهي أيضًا: "هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها". ولها ثلاثة معانٍ: الأول: الإيجاد. والثاني: العلم. والثالث: الأفعال المثلثة،

[1] ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): "غريب الحديث"، تحقيق د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني – بغداد، ١٣٩٧، ٢/ ١٤٨ – ١٤٩.

كالشمس والقمر وغيرهما، وقد بيّن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن الحكمة في القرآن هي تعلم الحلال والحرام. ، وقيل: يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: هي الكلام المقول المصون عن الحشو، وقيل: الحكمة: العلم والعمل.[1]

وأشار الجرجاني إلى أنواع من الحكمة، منها: الحكمة الإلهية، وعرّفها بالقول: "علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا تتعلق بقدرتنا ولا باختيارنا"، أو"هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه، ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية". أما الحكمة المنطوق بها فهي علوم الشريعة والطريقة، والحكمة المسكوت عنها: هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي، فيضرهم أو يهلكهم.. والحكماء: "هم الذين يكون قولهم وفعلهم موافقًا للسنة"، أما الحكماء الإشراقيون فرئيسهم أفلاطون، والحكماء المشاؤون رئيسهم أرسطو.[2]

ويعرف السيوطي علمُ الْحِكْمَة بأنه: "ما يُبْحَث فِيهِ عَن حقائق الْأَشْيَاء على مَا هِيَ عَلَيْهِ من الْوُجُود بِقدر الطَّاقَة لتصير النَّفس الإنسانية بتحصيلها كَامِلَة مضاهية للْعَالم الْعقلِيّ وتستعد بذلك للسعادة القصوى الأخروية". ويذكر تعريفًا آخر للحكمة بأنها: "استكمال النَّفس الإنسانية بالتصورات والتصديقات النظرية بِقدر الطَّاقَة البشرية"، أو هي: "استكمال النَّفس الإنسانية فِي قوتها النظرية بِمَعْرِفَة الْحق، وَفِي قوتها العملية بِفعل

[1] الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): "التعريفات"، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان
، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص ٩١.

[2] الجرجاني: نفسه، ص ٩١ – ٩٢.

الْخَيْر"، أو: "استكمالها بتصور الْأُمُور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية". ويذكر أن الحكمة تقسم إلى الحكمةُ النظريةُ، وهي: "الْعلم بِمَا لَا يكون وجوده باختيارنا"، وهي: "الحِكْمَة العَمَلِيَّةُ: الْعلم بِمَا يكون وجوده باختيارنا".[1]

ويمكن أن نلاحظ ببساطة أن السيوطي في تعريفه المتقدم لا يبتعد عن التعريفات الفلسفية اليونانية والإسلامية للحكمة، وهي بموجب التعريف المتقدم التعريف المعرّب لمفهوم الفلسفة، ومما لا شك فيه أن السيوطي هنا في هذا التعريف قد وقع في تناقض لأنه من جهة نقل التعريف اليوناني أو حتى الفلسفي في الحضارة الإسلامية للحكمة (= الفلسفة)، وهو من جهة أخرى رفض الاشتغال بالفلسفة أو المنطق، وكان على السيوطي أن يقدم التعريف الإسلامي الخالص للحكمة، وهو المعنى الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية أو في العلوم الإسلامية المحضة، وهو ما نحاول هنا أن نقدمه.

وهنالك مفاهيم عديدة أخرى لمصطلح الحكمة تنطلق من مرجعيات مختلفة، بحيث يمكن أن يلحظ اختلاف المفاهيم بموجب اختلاف المرجعيات المعرفية حول مفهوم (الحكمة) ذاته.[2]

[1] جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق أ. د محمد إبراهيم عبادة، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، ص ١٣٠.

[2] حول وجهات النظر المختلفة في تحديد مفهوم الحكمة، ينظر ما يأتي:

فقد ناقش الرازي الفيلسوف والطبيب في (رسائله الفلسفية) طويلًا مشكلة كون الطبيعة حكيمة أم لا؟ وسأحاول تلخيص جملة نقاشه واعتراضاته وأدلته. فيطرح سؤال من قال: إنا وجدناكم تصفون الطبيعة بما تصفون به الحي المختار العالم الحكيم فتقولون إنها لا تفعل إلا ما هو حكمة وصوابًا وإنها تقصد غرضاً ما وتفعل شيئًا معينًا لشيء يكون، كفعلها للجنين العين للنظر واليد للبطش والأضراس للطحن، وإنها تضع جميع الأشياء في مواضعها الملائمة، وترتبها على ما يجب أن تكون عليه، وإنها تصور الجنين في الرحم، وتدبِّر أمره حتى يكمل، ثم تدبّر الإنسان، وتجلب له الصحة وتنفي عنه الأسقام حتى قال بقراط الطبائع أطباء الأمراض. ثم ناقضتم أنفسكم فقلتم: إنها ميتة غير حية ولا حساسة ولا قادرة ولا مختارة ولا عالمة. وهذا تناقض واضح لأن ما وصفتموها به لا يكون إلا من الحي المختار. فلم لا يجوز أن تختارها

Robert J. Stenberg, ed., Wisdom: Its Nature, Origins, and Development (Melbourne: Cambridge University Press, 1995); Douglas J. Soccio, Archetypes of Wisdom: An Introduction to Philosophy (Boston: Wadsworth, 2012); Jacques Schlanger, Impossible Sagesse (Paris: Éditions Métailié, 2007); Sunday Adelaja, Weisheit: Zugang zur göttlichen Weisheit, dem Schlüssel, um auf Erden zu herrschen (Norderstedt: BoD, 2011); Michel Eyquem de Montaigne, Dizionario della saggezza: A cure di Roberto Bonchio (Roma: Newton Compton Editori, 2012); Luis Miguel Díaz, Manejo de Conflictos Desde la Sabiduría Del Cine Y Las Canciones: Más Chaplin y menos Platón (México: Editorial Pax México, Librería Carlos de Chile, 2005).

وتقصدها مع العلم بها وتريدها وهي ميتة؟ ويقال لهم كيف يكون الميت حكيمًا ولا يكون مميزًا وناطقًا ومحسًّا، وكيف يأتي الترتيب والنظر من غير المميز الحي؟ [1]

ويقال لهم أيضًا أخبرونا عن الغضب والرضا والحب والبغض والكراهية والإرادة هل تقولون إنها من أفعال النفس؟ لا وجعلوها للطبيعة فقد أبطلوا أفعال النفس، وجعلوا الطبيعة علة الأفعال التي لا تقع إلا من الحي المختار كما جعلوها علة ما يقع عليه الطبع. وإن قالوا: نعم؛ قيل لهم وكذلك ما وصفتم من الأفعال لا يجوز أن يكون للطبيعة. ويقال لهم ما أنكرتم من أن تكون الأعراض تفعل حكمة وصوابًا وتكون قاصة لغرض؟ فإن مضوا على ذلك ازدادوا تجاهلا، وإن امتنعوا منه قيل لأي علة امتنعتم من ذلك فإنا نجد مثلها في المؤلف لا يفعل ذلك ويقال لهم أيجوز أن يكون بناء دار وتأليف مدينة بطبيعة لا من حي قادر؟ فإن قالوا لا قيل لهم وكذلك تركيب بدن الإنسان لا يكون إلا من حي قادر. ويقال لهم ما أنكرتم من أن يكون الإنسان للنفس المنطقية دون الطبيعة وتكون القوى المنمية والمغذية لها دون الطبيعة؟ ويعكس الرازي ما قالوا، فيقول: فنعطي النفس ما للطبيعة كما أعطيتم الطبيعة ما للنفس المنطقية ويقال لهم إن أكثركم أنكر علينا أن الله جل وتعالى ركب الإنسان والله حي قادر - لأنهم زعموا لم يشاهدوا ولا يعقلوا حيًّا ركب حيوانًا - وزعمتم أنتم أن الذي ركبه ميت عاجز ويقال ما أنكرتم من أن تخترع الطبيعة الأجسام؟ فإن قالوا اختراع الأجسام غير معقول، قيل لهم فانفصلوا ممن زعم أن تركيب شيء من الأجسام

[1] الرازي الطبيب أبو بكر، محمد بن زكريا (المتوفى: ٣١٣هـ): "رسائل فلسفية"، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ١١٨.

لهذا الإنسان غير معقول فقد قال بذلك جماعة ممن جحد البارئ عزَّ وجلّ والطبيعة التي تزعمون.[1]

وناقض فرفوريوس في قوله أن الطبيعة تفعل بغير عقل ولا فكر ولا إرادة ولا تفعل بالاتفاق وقد تفعل شيئًا من أجل شيء. لأن هذا لا يكون إلا من العاقل المميز المريد. ويؤكد الرازي أنه لم ير أحدًا منهم أطلق عليها لفظ الاختيار إلا ما حكاه يحي النحوي عن فلوطينس. فإن كان هذا قد جعلها مختارة وهي ميتة فقد بلغ الغاية في التناقض. وقد استدل فرفوريوس وغيره في المقالة الثانية من سمع الكيان على أن الطبيعة إنما تفعل ما تفعل لغرض ومن أجل شيء من الأشياء. فإن قال إن الطبيعة أجل من المهنة وأعظم قدرًا كما أن الإنسان الحي الذي هو طبيعي أجل قدرًا من الإنسان المصور، قال وإذا كان كذلك وكان صاحب المهنة يفعل ما يفعل من أجل شيء ما فكذلك الطبيعة إنما تفعل ما تفعل من أجل شيء ما لا تجيء بالحبط والاتفاق، فيقال له أليس صاحب المهنة إنما يفعل من أجل شيء ما وهو حي قادر مريد مفكر عالم لما في الشيء الذي يقصده ويفعل من أجله من المنفعة؟ فلا بد من نعم، يقال له أفكذلك الطبيعة؟ فإن قال نعم نقض قوله، وإن قال لا فقد خالف موضوعه مثله. وقيل له ما تنكر من أن تكون المهنة يفعل ما يفعل بها لغرض ما ومن أجل شيءٍ ما ولا تكون الطبيعة كذلك؟ ويقال لهم إن المهنة عندنا لا تفعل شيئًا ولكن ذا المهنة هو الذي يفعل لأن الفاعل هو النجار والبناء لا البناء والنجارة، والنجار والبناء حيّان وهما أعلى من الطبيعة الميتة. وإذا كان الإنسان الحي هو الفاعل فهو الطبيعي عندكم فكأنكم قستم

[1] رسائل الرازي الفلسفية، ص ١١٩.

الشيء على نفسه. واحتجوا أيضاً ببناء الخُطّاف لوكره والزنابير لبيوتها وبآثار الحكمة في ذلك وأنها فعلت ذلك لغرض ما وأن فعلَها ذلك بالطبع.[1]

فيقال لهم إنكم تخالفون في ذلك لأن فعل هذا الحيوان ليس هو بالطبع لأن الحي لا يفعل بالطبع، وإنما المطبوعات كالنار وما جرى مجراها، فكيف يكون أمثال هذه بالطبع ولها أفعال مختلفة كالطيران إذا احتاجت إليه والسكون إذا تعنت واستغنت عن الطيران وكاختيارها كل شئ مما يغذيها دون غيره وتخيرها لأوكارها المواضع العالية الكنينة. ولكن الحيوان وإن كان غير مطبوع فله اختيار ما وتمييز وإن لم يكن له كل التمييز ولا يبلغ منزلة العقلاء بعد. فهذه حية فاجعل الطبيعة حية وإلا فقد خالفت حكم ما استشهدت به، فأرنا في الطبيعة وقصدها مثالا من الأشياء الموات كحرارة النار وهوى الحجر وإلا فدع التلبيس. فإن قالوا إن الطبيعة تدبر تدبيرًا طبيعيًا وتقصد وتفعل قصدًا وفعلا طبيعيًا، قيل لهم انفصلوا ممن زعم أنها تختار اختيارًا طبيعيًا وتؤثر شيئًا على شيء الإيثار الطبيعي وأن النار تحرق اختياريًا. وهذا يتم ولا يجوز أن يفعل ويقصد ويريد ويؤثر إلا المختار الحي، والمطبوع الميت لا يوصف بذلك وأما زعم من زعم أن الطبيعة لا تفعل ولا تقصد وأنها ابتداء حركةٍ فيقال له ما تريد بابتداء حركةٍ وسكون؟ أتريدُ أنها إذا حدثت الحركة والسكون والنمو والغذاء وترتبت الأشياء ووضعتها مواضعها ووضع شيء لشيء بها ومن أجلها؟ فقد وافقت القوم في المعنى وخالفتهم في الاسم. وإذا كان مقصودك أن ما يحدث ليس بها ومن أجلها تركت القول بالطبيعة وأما ما حكي عن أنطيفن أن العنصر وحده هو الطبيعة فإن الكلام عليه في

[1] نفسه، ص ١٢١.

فعله كالكلام على من أثبت الطبيعة، لأنه مواتٌ تحدث فيه ومنه الأشياء لا بمحدث حي ولا بفاعل حكمةٍ.[1]

وأما جمهور العقلاء من المسلمين وغير المسلمين وأهل السنة من أهل الكلام والفقة والحديث والتصوف وغير أهل السنة من المعتزلة وغيرهم فيثبتون الأسباب، ويقولون كما يعلم اقتران أحدهما بالآخر، فيعلم أن في الماء قوة تقتضي التبريد وفي النار قوة تقتضي التسخين، وكذلك في في اللسان قوة تقتضي الذوق والعين قوة تقتضي الأبصار، ويثبتون الطبيعة التي تسمى الغريزة والنحيزة والخلق والعادة ونحو ذلك من الأسماء، ولهذا كان السلف كأحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما يقولون العقل غريزة. وأما نفاة الطبائع فليس العقل عندهم إلا مجرد العلم كما هو قول أبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر وأبن عقيل والقاضي أبي يعلى وأبي الخطاب والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم وإن كان بعض هؤلاء قد يختلف كلامهم فيثبتون في موضع آخر الغرائز والأسباب كما هو مذهب الفقهاء والجمهور. فالمقصود أن لفظ التجربة يستعمل فيما جربه الإنسان بعقله وحسه وإن لم يكن من مقدوراته كما قد جربوا أنه إذا بعدت الشمس عن سمت رؤوسهم جاء البرد وإذا جاء البرد سقط ورق الأشجار وبرد ظاهر الأرض وسخن باطنها وإذا قربت من سمت رؤوسهم جاء الحر وإذا جاء الحر أورقت الأشجار وأزهرت، وجربوا أنه إذا طلعت الشمس انتشر الضوء في الآفاق، وإذ غابت أظلم الليل فهذا أمر يشترك في العلم به جميع الناس.[2]

---

[1] نفسه، ص ١٢٢.

[2] ابن تيمية: "الرد على المنطقيين"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٩٤.

والطبيعة عرض قائم بجسم، فمن جعل المحدث للإنسان في بطن أمه وما فيه من الأعضاء المختلفة وقواها ومنافعها هو الطبيعة كان قوله أظهر فسادًا من تلك الأقوال التي فيها إضافة الحوادث إلى مجرد مشيئة القديم من غير إثبات سبب ولا حكمة، أو إضافة الحوادث إلى قدرة القادر المختار سواء كان حادثًا أو قديمًا؛ فإن كلًا من القولين خير من إضافة ذلك إلى طبيعة هي عرض بجسم من الأجسام ليس له إرادة ولا مشيئة مع أن الجنين المخلوق في الرحم أكمل من الرحم وقواها. ثم إن هؤلاء إذا قالوا أن هذه الحوادث تحدث بسبب حركات الأفلاك، وأن ذلك يعدها لقبول الفيض عليها من العقل الفعال كانوا محتاجين في جميع ما يقولونه إلى إقامة الدليل على أنه سبب، وما يذكرونه من إثبات العقل الفعال كانوا محتاجين في جميع ما يقولونه الى إقامة الدليل على أنه سبب، وما يذكرونه من إثبات العقل الفعال كلام باطل كما قد بسط في غير هذا الموضع. وإنما يقوم الدليل على أن الحوادث تصدر عن حركات حي مختار وتلك هي الملائكة التي أخبرت بها الأنبياء وليست الملائكة هي العقول التي يثبتها هؤلاء فإن العقل الأول عند هؤلاء هو المبدع لكل ما سوى الله والعقل الفعال عندهم هو المبدع لكل ما تحت فلك القمر. وأهل الملل يعلمون بالضرورة من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات ولا أنهم أثبتوا ملكًا من الملائكة أبدع كل ما تحت السماء بل الملائكة عندهم عباد لله ليس فيهم من هو مستقل بإحداث جميع الحوادث فضلاً عن أن يكون مبدعاً لكل ما سوى الله وسواه. [1]

[1] ابن تيمية: "الصفدية"، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، مكتبة ابن تيمية، مصر، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٦.

فَأَما كثير من النَّاس وَأهل الطَّبْع من المتفلسفة وَغَيرهم فيعلمون ظَاهرًا من الْحَيَاة الدُّنْيَا ومن القَوْل، ويرَوْنَ ظَاهر الحركات والأعمال الَّتِي للموجودات وبعض أَسبَابهَا الْقَرِيبَة، وَبَعض حكمهَا وغاياتها الْقَرِيبَة أَن ذَلِك هُوَ الْعلَّة لَهَا فَاعِلاً وَغَايَة، كَمَا يذكرُونَهُ فِي تشريح الْإِنْسَان وأعضائه وحركاته الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة، وَمَا يذكرُونَهُ من الْقوى الَّتِي فِي الْأَجْسَام الَّتِي تكون بهَا الْحَرَكَة، وَمَا يذكرُونَهُ من كل شَيْء، وَمن ذَلِك ذكرهم الطبيعة الَّتِي فِي الْإِنْسَان وَالْقُوَّة الجاذبة والهاضمة الغاذية والدافعة والمولدة وَغير ذَلِك، وَأَن الدِّمَاغ أبرد من الْقلب، وَأَن الرئة تروح على الْقلب لفرط حرارته، إِلَى غير ذَلِك من الْأَسْبَاب وَالْحكم الَّتِي فِيهَا من شُهُود مَا فِي مخلوقات الله من الْأَسْبَاب وَالْحكم، مَا هُوَ عِبْرَة لأولي الْأَبْصَار؛ لَكِن يَقع الْغَلَط من إِضَافَة هَذِه الْآثَار الْعَظِيمَة إِلَى مُجَرّد قُوَّة فِي جسم، وَلَا يشْهدُونَ الْحِكْمَة الغائية من هَذِه الْمَخْلُوقَات وَأَن ذَلِك هُوَ عبَادَة رَبهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.[1]

ما تقدم كان عرضًا لآراء الرازي الطبيب في مجال ما يسمى (حكمة الطبيعة) واعتراض ابن تيمية على الذاهبين إلى القول بطبائع الأشياء.

وأعود مرة أخرى إلى مفهوم الحكمة في سياقه العام، فابن سينا يشير إلى مفهوم الحكمة في كتابه: "القانون في الطب"، في مجال حديثه عن ماهية الطب، فيقول:

"إِن الطِّبّ علم يتعرف مِنْهُ أَحْوَال بدن الْإِنْسَان من جِهَة مَا يَصح وَيَزُول عَن الصِّحَّة ليحفظ الصِّحَّة حَاصِلَة ويستردها زائلة. وَلقَائِل أَن يَقُول إِن الطِّبّ يَنْقَسِم إِلَى

[1] ابن تيمية: "جامع الرسائل"، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، دار العطاء – الرياض، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٢/٢١٥.

نظر وَعمل وَأَنْتُم قد جعلتم كُله نظرًا إِذْ قُلْتُمْ إِنَّه علم وَحِينَئِذٍ نجيبه ونقول إِنَّه يُقَال إِن من الصناعات مَا هُوَ نَظَرِي وعملي وَمن الْحِكْمَة مَا هُوَ نَظَرِي وعملي وَيُقَال إِن من الطِّبّ مَا هُوَ نَظَرِي وعملي".[1]

كما يرد ذكر مفهوم الحكمة في مجال المنطق، فقد أخذ المناطقة المسلمون عن المدرسيين والشراح الاسكندرانيين وغيرهم ترتيب الكتب المنطقية الارسطاليسية في ثمانية، وهذا هو ما وضحه الفارابي توضيحا كافياً في نص تفصيلي نقله ابن أبي أصيبعة، سمى الكتاب الأول " المقولات " قاطاغورياس، والثاني: العبارة باريمنياس، والثالث: القياس أو أنالوطيقا الأولى، والرابع البرهان أو أنالوطيقا الثانية، والخامس المواضع الجدلية أو طوبيقا، والسادس: الحكمة الموهة أو سوفسطيقا، والسابع: الخطابة أو الريطورية، والثامن الشعر أوفويطيقا. وقد اعتمد ابن حزم هذه المنهجية، على نحو قريب، فقدم قبل الكتب الثمانية القول في المدخل أو ايساغوجي، ثم تناول القول في كتب أرسطاطاليس فسمى الأول، الأسماء المفردة، وسمى الثاني كتاب الأخبار، وهو الذي دعاه الفارابي باسم " العبارة "، وأدرج الكتب الأربعة التالية في باب واحد وجمعها تحت اسم " البرهان "، ورفض اسم القياس.[2]

---

[1] ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ): "القانون في الطب"، المحقق ومن وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، بدون بيانات أخرى، ١/ ١٣.

[2] من مقدمة د. إحسان عباس لكتاب: "التقريب لحد المنطق لابن حزم"، ينظر: ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ): "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠.

وترد الإشارة إلى الحكمة في مجال البحث في النظام الكلي للعالم، فقد عرض الغزالي وجهة نظر الفلاسفة حول ذلك في كتابه: "تهافت الفلاسفة"، كما يأتي:

فإن قلتم: إن النظام الكلي للعالم لا يمكن إلا على الوجه الذي وجد، وإن العالم لو كان أصغر أو أكبر مما هو الآن عليه لكان لا يتم هذا النظام، وكذا القول في عدد الأفلاك وعدد الكواكب. وذكرتم أن الكبير يخالف الصغير، والكثير يفارق القليل في ما يراد منه فليست متماثلة بل هي مختلفة، إلا أن القوة البشرية تضعف عن درك وجوه الحكمة على الإجمال والتفصيل، وإنما تدرك الحكمة في بعضها كالحكمة في الأوج والفلك الخارج المركز والحكمة في ميل فلك البروج عن معدل النهار، والأكثر لا يدرك السر فيها ولكن يعرف اختلافها، ولا بعد في أن يتميز الشيء عن خلافه لتعلق نظام الأمر به. وأما الأوقات فمتشابهة قطعاً بالنسبة إلى الإمكان وإلى النظام، ولا يمكن أن يدعي أنه لو خلق بعد ما خلق أو قبله بلحظة لما تصور النظام، فإن تماثل الأحوال يعلم بالضرورة. ويجيب الغزالي قائلاً: فنقول: نحن وإن كنا نقدر على معارضتكم بمثله في الأحوال إذ قال قائلون: خلقه في الوقت الذي كان الأصلح الخلق فيه، لكنه لا يقتصر على هذه المقابلة بل يفرض على أصلهم تخصصاً في موضعين لا يمكن أن يقدر فيه اختلاف أحدهما اختلاف جهة الحركة والآخر تعين موضع القطب في الحركة عن المنطقة.[1]

[1] الغزالي : "تهافت الفلاسفة"، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف، القاهرة – مصر، ص ١٠٥.

المبحث الثالث

علم الحكمة الإسلامية،، المفهوم الدقيق

أصل علم الحكمة الإسلامية ما قال الله سبحانه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[1] وما جاء به الأنبياء والمرسلون من ربهم صلوات الله وسلامه عليهم، وكل من اقتفى هذا الطريق (الصراط المستقيم) فهو بالضرورة مقتف للحكمة الإسلامية، متبع لها، وعامل بها.

وعلم الحكمة الإسلامية المقصود في هذا المدخل هو العلم الوارد في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة من الخلفاء الراشدين وأهل بيت النبوة وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

علم الحكمة الإسلامية في القرآن الكريم:

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواطن عدة، نذكرها كالآتي:

[1] على هذه الحكمة البالغة أنشأنا وربانا وأرشدنا مشايخنا الكرام، فلطالما سمعت شيخي الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس يقول: "منهجنا قال الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وأخيه الشيخ الدكتور عبد السميع الأنيس يقول: "الحمد لله على نعمة الإسلام والسنة"، جزاهما الله خيرًا على ما فهّما وأرشدا وعلما.

قوله تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: ١٢٩].

وقوله سبحانه: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) } [البقرة: ١٥١].

وقوله سبحانه: { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) } [البقرة: ٢٣١].

وقوله سبحانه: { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) } [البقرة: ٢٥١].

وقوله سبحانه: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) } [البقرة: ٢٦٩].

وقوله سبحانه عن نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)} [آل عمران: ٤٨].

وقوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) } [آل عمران: ٨١].

وقوله تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) } [آل عمران:١٦٤].

وقوله تعالى: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) } [النساء: ٥٤].

وقوله تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) } [النساء: ١١٣].

وقوله تعالى: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠) } [المائدة: ١١٠].

وقوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) } [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى: { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) } [الاسراء: ٣٩].

وقوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) } [لقمان: ١٢].

وقوله تعالى: { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) } [الاحزاب: ٣٤]

وقوله تعالى عن نبيه داود عليه الصلاة والسلام: { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) } [ص: ٢٠].

وقوله تعالى عن نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) } [الزخرف: ٦٣].

وقوله تعالى: { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) } [القمر:٥].

وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) } [الجمعة:٣].[1]

وبكلمة موجزة جدًا: القرآن الكريم كله حكمة، وهو المصدر الأول لعلم الحكمة الإسلامية.

علم الحكمة الإسلامية في السنة النبوية:

كما وردت كلمة الحكمة في السنة النبوية أيضًا، ونقتبس من مشكاة النبوة ما يأتي:

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ".[2]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الفَخْرُ، وَالخُيَلاَءُ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ

[1] عن كلمة (الحكمة) في القرآن الكريم، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة، ص ٢١٤.

[2] البخاري ، ١/ ٢٥، حديث (٧٣).

الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ «سُمِّيَتِ اليَمَنَ لِأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الكَعْبَةِ، وَالشَّأْمَ لِأَنَّهَا عَنْ يَسَارِ الكَعْبَةِ، وَالمَشْأَمَةُ المَيْسَرَةُ، وَاليَدُ اليُسْرَى الشُّؤْمَى، وَالجَانِبُ الأَيْسَرُ الأَشْأَمُ».[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ» حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، وَقَالَ: «عَلِّمْهُ الكِتَابَ» ، حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ مِثْلَهُ، " وَالحِكْمَةُ: الإِصَابَةُ فِي غَيْرِ النُّبُوَّةِ ".[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا» : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ».[3]

---

[1] صحيح البخاري، ١٧٩/٤، حديث (٣٤٩٩)، وانظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٧١/١، حديث (٨٢)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، ١٥٦/١٣، حديث (٧٧٢٣).

[2] صحيح البخاري، ٢٧/٥، حديث (٣٧٥٦)، وانظر: "سنن الترمذي" لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، ٦٧٩/٥، حديث (٣٨٢٣)، و٦٨٠/٥، حديث (٣٨٢٤)، وابن ماجه (ت ٢٧٣هـ): "سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ ، ٥٨/١، حديث (١٦٦)، ومسند أحمد، ٢٤٤/٤، حديث (٢٤٢٢).

[3] سنن الترمذي، ٥١/٥، حديث (٢٦٨٧)، وسنن ابن ماجه، ١٣٩٥/٢، حديث (٤١٦٩).

وبكلمة موجزة جداً: السنة النبوية كلها حكمة، وهي المصدر الثاني لعلم الحكمة الإسلامية.

إن علم الحكمة الإسلامية مرادف للفقه في الدين:

وقد روي عن أبي حنيفة أنه قال: " الْفِقْه فِي الدّين لأَفْضَل من الْفِقْه فِي الْأَحْكَام وَلِأَن يتفقه الرجل كَيفَ يعبد ربه خير لَهُ من أن يجمع الْعلم الْكثير". وقَالَ أيضاً: "أن يتَعَلَّم الرجل الإيمان بِاللهِ تَعَالَى والشرائع وَالسّنَن وَالْحُدُود وَاخْتِلَاف الْأمة واتفاقها". وعَن يحيي بن يعمر، قال: قلت لِابْنِ عمر رَضِي الله عَنْهُمَا أَخبرنِي عَن الدّين ما هو؟ قال: عليك بالإيمان فتعلمه. قلت: فَأَخْبرنِي عن الإيمان ما هو؟ فَأخذ بيَدي؛ فَانْطَلق إلى شيخ فأقعدني إلى جنبه فَقَالَ إِن هَذَا يسْأَل عَن الْإِيمَان كَيفَ هُوَ؟ فَقَالَ وَالشَّيْخ كَانَ مِمَّن شهد بَدْرًا مَعَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالَ ابْن عمر: كنت إلى جنب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهَذَا الشَّيْخ معي؛ إِذْ دخل علينا رجل حسن اللمة متعمماً، نحسبه من رجال الْبَادِيَة، فتخطى رِقَاب النَّاس، فَوقف بَين يَدي رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالَ: يَا رَسُول الله مَا الْإِيمَان؟ قَالَ: "شَهَادَة أن لَا إِلٰه إلا الله، وأن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، وتؤمن بملائكته وَكتبه وَرُسُله وَالْيَوْم الآخر وَالْقدر خَيره وشره من الله تَعَالَى". فَقَالَ: صدقت، فتعجبنا من تَصْدِيقه رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَعَ جهل أهل الْبَادِيَة. فَقَالَ يَا رَسُول الله: مَا شرائع الإسلام؟ فَقَالَ: "إِقَام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة وَصَوْم رَمَضَان وَحج الْبَيْت لمن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا والاغتسال من الْجَنَابَة"، فَقَالَ: صدقت، فتعجبنا لقَوْله بتصديقه رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَأَنَّمَا يُعلمهُ. فَقَالَ يَا رَسُول الله: وَمَا الْإِحْسَان؟ قَالَ: "أن تعْمل لله كَأَنَّك تراهُ فَإِن لم تكن تراهُ فَإِنَّهُ يراك"،

قَالَ: صدقت. فَقَالَ يَا رَسُول الله: مَتى السَّاعَة؟ فَقَالَ: "المسؤول عَنْهَا بِأَعْلَم من السَّائِل"، ثمَّ مضى فَلَمَّا توَسط النَّاس لم نره، فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "إِن هَذَا جِبْرِيل أَتَاكُم ليعلمكم معالم دينكُمْ".[1]

والحكمة الإسلامية بهذا مرادفة للعروة الوثقى:

قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) } [البقرة: ٢٥٦ – ٢٥٧]، وقال سبحانه: { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) } [لقمان : ٢٢].

إن أهم مهمات علم الحكمة الإسلامية المعرفة بالله سبحانه:

إلهًا وخالقًا ورازقًا ومدبرًا، فهو علم إخلاص العبودية لله سبحانه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ:

[1] الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ)، ط١، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص ٨٢ – ٩٢. وانظر الحديث في مظانه الأساسية، مثل: صحيح البخاري (باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة)، ١٩/١، ١١٥/٦، (حديث ٤٧٧٧)، صحيح مسلم، ١/ ٣٩، حديث (٥)، ٤٠/١، حديث (٧)، أبو داود (ت ٢٧٥ هـ): "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٢٣/٤، حديث (٤٦٩٥)، "سنن الترمذي"، ٦/٥، حديث (٢٦١٠)، النسائي: (ت٣٠٣ هـ): "المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي"، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الاسلامية – حلب، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ٩٧/٨، (حديث ٤٩٩٠)، ١٠١/٨، حديث (٤٩٩١)، "سنن ابن ماجه"، ٢٤/١، حديث (٦٣)، ٢٥/١، (حديث ٦٤)، ابن أبي شيبة: "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"، ٦، ١٥٧، (حديث ٣٠٣٠٩).

شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَجْلِسًا فَقَالَ: «طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى، تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ» قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الإخلاص لِلَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، قَالُوا: فَمَنِ الْمُنَاصِحُ لِلَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَبْدَأُ بِحَقِّ اللهِ قَبْلَ حَقِّ النَّاسِ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا وَالْآخَرُ لِلْآخِرَةِ بَدَأَ بِأَمْرِ اللهِ قَبْلَ أَمْرِ الدُّنْيَا ".[1]

وهو علم التوكل على الله سبحانه:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».[2]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».[3]

وهو علم الرضا بقضاء الله وقدره:

عَنْ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ ثَعْلَبَةَ الْبَصْرِيِّ قَالَ: قَالَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ بِحَدِيثٍ لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ

---

[1] ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ): "الإخلاص والنية"، حققه وعلق عليه: إياد خالد الطباع، ط١، دار البشائر، ١٤١٣ هـ، ص ٣١.

[2] مجموعة رسائل بان أبي الدنيا كتاب التوكل على الله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص ٤٣.

[3] نفسه، ص ٤٥.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسًا فَضَحِكَ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مِمَّ ضَحِكْتُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْضِي لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ".[1]

وعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَلِي عَبْدَهُ فِيمَا أَعْطَاهُ فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ».[2]

وعن قَادِمٌ الدَّيْلَمِيُّ الْعَابِدُ، قَالَ: قُلْتُ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: مَنِ الرَّاضِي عَنِ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَلَى غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي جُعِلَ فِيهَا».[3]

وعلم الحكمة الإسلامية علم للاعتبار والتفكر والتدبر بالحال والمآل والمصير والنهاية الحتمية للإنسان والكون:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ، فَقَالَ: " يَا أَنَسُ، خُذْ هَذِهِ الْمَطْهَرَةَ امْلَأْهَا مِنْ هَذَا الْوَادِي، فَإِنَّهُ وَادٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، فَأَخَذْتُهَا فَمَلَأْتُهَا، وَعَجِلْتُ وَلَحِقْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا أَنْ سَمِعَ حِسِّي الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا أَنَسُ، فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ

[1] ابن الدنيا: "الرضا عن الله بقضائه"، المحقق: ضياء الحسن السلفي،ط١، الدار السلفية – بومباي، ١٤١٠م، ص ٤١.

[2] نفسه، ص ٨٢.

[3] نفسه، ص ٥٨.

اللهِ فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، مَا مِنْ حَبْرَةٍ إِلَّا سَتَتْبَعُهَا عَبْرَةٌ، يَا عَلِيُّ، كُلُّ هَمٍّ مُنْقَطِعٌ إِلَّا هَمَّ النَّارِ، يَا عَلِيُّ كُلُّ نُعَيْمٍ يَزُولُ إِلَّا نَعِيمَ الْجَنَّةِ».[1]

وعَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ " مَا مِنْ قَوْمٍ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: طُوبَى، إِلَّا خَبَّأَ لَهُمُ الدَّهْرُ يَوْمًا يَسُوءُهُمْ".[2]

وهو علم التوبة إلى الله سبحانه:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ دَارِهِ، وَكُنْتُ لَهُ نَاصِحًا، وَكَانَ مِنِّي مُسْتَمِعًا، فَقَالَ: "يَا إِبْرَاهِيمُ بَلَغَنِي أَنَّ مُوسَى قَالَ: " إِلَهِي، مَا الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْ عِقَابِكَ، وَيُبَلِّغُنِي رِضْوَانَكَ وَيُنْجِينِي مِنْ سَخَطِكَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالنَّدَمُ بِالْقَلْبِ، وَالتَّرْكُ بِالْجَوَارِحِ ".[3]

وعن الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ: «اتَّقِ، لَا يَأْخُذْكَ اللهُ عَلَى ذَنْبٍ، لَا يَنْظُرْ إِلَيْكَ فِيهِ فَتَلْقَاهُ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَيْسَ لَكَ حُجَّةٌ».[4]

وعلم الحكمة الإسلامية علم بضرورة الرسول والرسالة:

قال ابن القيم:

---

[1] ابن أبي الدنيا: "الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان"، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، ط١، دار البشير – عمان، ١٤١٣ – ١٩٩٣، ص ٢٥.

[2] نفسه، ص ٢٨.

[3] ابن أبي الدنيا: "كتاب التوبة"، حقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر، ص ٣٣.

[4] ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الاسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ٣٧/١.

"اضْطِّرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ. وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ إِذَا غَابَ عَنْكَ هَدْيُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبُكَ، وَصَارَ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ وَوُضِعَ فِي الْمِقْلَاةِ، فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ كَهَذِهِ الْحَالِ بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لَا يُحِسُّ بِهَذَا إِلَّا قَلْبٌ حَيٌّ وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ".[1]

إن الفصول التالية ستكشف مسائل أساسية في علم الحكمة الإسلامية، فإلى ذلك إن شاء الله:

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الاسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ٦٩/١.

الفصل الثاني

الأصول العقائدية لعلم الحكمة الإسلامية

(التوحيد، النبوة، المعاد)

المبحث الأول

حكمة التوحيد،، العبادة لله والاستعانة به وحده سبحانه

فالتوحيد هو الحكمة، والحكمة هي التوحيد، أي توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبودية، { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: ١]. وهو العالم سبحانه بما كان وما سيكون: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس: ٨٢]. { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [القصص: ٦٨] { وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص: ٧٠]. إنه الله سبحانه الذي: "دل على وحدانيته في إلهيته أجناس الآيات، وأبان علمه لخليقته ما فيها من أحكام المخلوقات، وأظهر قدرته على بريته ما أبدعه من أصناف المحدثات، وأرشد إلى فعله بسنته تنوع الأحوال المختلفات وأهدى برحمته لعباده نعمه التي لا يحصيها إلا رب السموات، وأعلم بحكمته البالغة دلائل حمده وثنائه الذي يستحقه من جميع الحالات، لا يحصي العباد ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه لما له من الأسماء والصفات، وهو المنعوت بنعوت الكمال وصفات الجلال التي لا يماثله فيها شيء من الموجودات، وهو القدوس السلام المتنزه أن يماثله شيء في نعوت الكمال أو يلحقه شيء من الآفات، { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا } [الأسراء: ٤٣] .[١]

[١] ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): "مجموع الفتاوى"، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١/١- ٢.

إن المهمة التي يقوم بها علم الحكمة الإسلامية هي الدعوة إلى (التوحيد)، أي توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية والتنزيه، وتعليم الخلق أجمعين بأنه وحده سبحانه الخالق والرازق والمدبر وبكل ما يليق بألوهيته وربوبيته ووحدانيته والتسبيح له عز وجل.

ويستخلص علم الحكمة الإسلامية مبادئ التوحيد من أصلي الحكمة الإسلامية: القرآن الحكيم والسنة النبوية. [1]

قال تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) } [آل عمران: ٢٦].

وقال سبحانه: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل : ٥٣].

وقال تعالى: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ

[1] وبهذه القاعدة فالوحي الاسلامي ممثلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية يعد الأساس للمفاهيم الاسلامية عن التوحيد، وليس، بالطريقة التي سار عليها علم الكلام الاسلامي، كما يشير د. حسن حنفي، حين أصبحت المباحث الفلسفية العامة الأساس لنظرية علم التوحيد بعد أن توقفت في علوم الحكمة (طبعاً المقصود بالحكمة ليس الحكمة الاسلامية بالمعنى الدقيق الذي أشرنا إليه مسبقًا، أي الحكمة الاسلامية الموجودة في مفاهيم الوحي الاسلامي، القرآن الكريم والسنة النبوية)، واستطاع العلم، يضيف د. حنفي، أن يقضي على ما تبقى من تشبيه وفكر ديني تقليدي، أو كاد بحيث أصبحت الإلهيات تمثل أكثر من ربع العلم، واحتوت المقدمات النظرية الخالصة ثلاثة أرباع العلم، ينظر: د. حسن حنفي: " من العقيدة إلى الثورة: ١-:المقدمات النظرية"، ضمن مشروع التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم"، ط١، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٧١.

بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) } [الأنعام: ١٦ – ١٩].

وقال تعالى: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس: ١٠٧].

وقال تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥].

وقال سبحانه: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } [محمد: ١٩].

وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [سورة الزمر: ٣٨].[١]

فكل عبد بل كل مخلوق سوى الله فقير محتاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب، فلا بد له من أمرين: أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي يُنتفع ويُلتذ به، والثاني: هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه. وهذان هما الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية، فهنا أربعة أشياء: أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود. والثاني: أمر مكروه مبغض مطلوب العدم، والثالث: الوسيلة إلى دفع المكروه، فهذه الأربعة الأمور ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، وأما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر.[٢]

[١] "مجموع الفتاوى"، ١/٢٠.

[٢] "مجموع الفتاوى"، ١/٢١-٢٢.

وبيان ما تقدم من وجوه، أحدها: أن الله سبحانه هو الذي يجب أن يكون المقصود، وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه، وهو المعين على دفع المكروه، فهو جل شأنه الجامع للأمور.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن القلوب، وبرؤيته في الآخرة تقر العيون، ولا شيء هناك أحب من النظر إلى وجهه الكريم، ولا شيء في الدنيا أعظم من الإيمان به، والحاجة إليه بوصفه إلهًا وربًّا هو الغاية المقصودة للبشر، ولهذا كان الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وكانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بلا إله إلا الله رأس الأمر. وهذا هو حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق الله على العباد إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم أن لا يعذبهم.[1]

يشرح الغزالي الاسم (الله)، قائلاً، هُوَ :"اسم للموجود الْحق الْجَامِع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الْحَقِيقِيّ"، لأن كل مَوْجُود سواهُ غير مُسْتَحقّ الْوُجُود بِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود مِنْهُ سبحانه فَهُوَ من حَيْثُ ذَاته هَالك، وَمن الْجِهَة الَّتِي تليه مَوْجُود فَكل مَوْجُود هَالك إِلَّا وَجهه تعالى. وأن نعْلَم أيضًا أَن هَذَا الاسم أعظم أسماء الله عز وَجل التِّسْعَة وَالتسْعين لأسباب، منها: لِأَنَّهُ دَال على الذَّات الجامعة

[1] "مجموع الفتاوى"، ٢٣/١.

لصفات الإلهية كلهَا حَتَّى لَا يشذ مِنْهَا شَيْء، وَسَائِر الأسماء لَا يدل آحادها إِلَّا على آحَاد الْمعَانِي من علم أَو قدرَة أَو فعل أَو غَيره، وَلِأَنَّهُ أخص الأسماء إِذْ لَا يُطلقهُ أحد على غَيره لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازًا وَسَائِر الأسماء قد يُسمى بِهِ غَيره كالقادر والعليم والرحيم وَغَيره فلهذين الْوَجْهَيْنِ يشبه أَن يكون هَذَا الاسم أعظم هَذِه الأسماء.[1]

ويضيف الغزالي عن الله سبحانه، أنه: "لَيْسَ بجسم مُصَور وَلَا جَوْهَر مَحْدُود مُقَدّر، وَأَنه لَا يماثل الْأَجْسَام لَا فِي التَّقْدِير وَلَا فِي قبُول الانقسام، وَأَنه لَيْسَ بجوهر، وَلَا تحله الْجَوَاهِر، وَلَا بِعرْض وَلَا تحله الْأَعْرَاض بل لَا يماثل مَوْجُوداً وَلَا يماثله".[2]

ويبين الغزالي أن معرفَة الله سبحانه وَمَعْرِفَة صِفَاته وأفعاله ضرورية فَكل علم لَا يُؤَدِّي إِلَى معرفَة الْبَارِي جلّ جَلَاله فَهُوَ عديم الجدوى والفائدة، فإذا أثبتنا النَّفس على الْجُمْلَة بِمَعْرِفَة آثارها وأفعالها فَالنَّفْس النباتية عرفناها بآثارها من التغذية والتنمية وتوليد الْمثل، وَالنَّفس الحيوانية بآثارها من الْحس، وَالْحَرَكَة الاختيارية وَالنَّفس الإنسانية بِالتَّحْرِيكِ وَإِدْرَاك الكليات. فعند ذلك نعلم أَن هَذِه الْأَفْعَال تتَعَلَّق بمبدأ يُسمى ذَلِك المبدأ نفسًا فَيكون قوامها ووجودها وخاصيتها بذلك المبدأ الَّذِي هُوَ النَّفس. وبهذه الطريقة علينا أن نعلم أَن الْمَوْجُود على قسمَيْنِ إِمَّا أَن يتَعَلَّق وجوده بِغَيْرِهِ بِحَيْثُ

[1] الغزالي: " المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، الجفان والجابي – قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ص ٦١.

[2] الغزالي: "قواعد العقائد"، تحقيق موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص ٥١.

يلْزم من عدم ذَلِك الْغَيْر عَدمه، أَو لَا يتَعَلَّق، فإن تعلق سميناه مُمكناً، وَإِن لم يتَعَلَّق سميناه وَاجِبا بِذَاتِهِ.[1]

والتوحيد قسمان:

القسم الأول:

توحيد الربوبية والرَّازقية والخالقية وما شابهها، ومعناه: أنَّ الله سبحانه وحده هو الخالق للعالَم، وهو الرَّبُّ لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مُقرُّون ومعترفون به.

والقسم الثاني:

توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله سبحانه فيه شركاء، ولفظ الشريك يُشعر بالإقرار بالله تعالى.[2]

والحكمة أيضًا هي التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من عند ربهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تؤدي بالضرورة إلى توحيد الله سبحانه ومعرفته جل وعلا. فقد أرسل الله سبحانه { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

[1] الغزالي: "معارج القدس في مدراج معرفة النفس"، ط٢، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٥، ص ١٦٣، وقارن حول ضرورة معرفة الله سبحانه، مع: عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: ١٠٧١هـ): "العين والأثر في عقائد أهل الأثر"، تحقيق عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، ١٤٠٧هـ، ص ٢٩.

[2] محمد بن اسماعيل الصنعاني: "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"، ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ط١، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ص ٥٠.

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء: ١٦٥]، مبشّرين لمن أطاعهم برضوان من الله ونعيم مقيم؛ ومنذرين لمن عصاهم بعذاب الجحيم، وأمرهم بدعوة الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له. فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥١ – ٥٢]. وجعل لكل منهم شرعة ومنهاجًا لكي يستقيموا عليه ولا ينحرفوا عنه. وختمهم بمحمد عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء والمرسلين، وصعفوة الله من خلقه، الشاهد البشير النذير الهادي السراج المنير الذي أخرج به الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى صراط العزيز الحميد { الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [سورة إبراهيم: ١ -٢].

بعث الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام بأفضل الشرائع والمناهج، وأحبط به أصناف الكفر والبدع، وأنزل عليه أفضل الكتب، وجعله مهيمنًا على ما بين يديه من الكتب. وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وهو شهيد عليهم وهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة. وأكمل عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً.[١]

فلا سعادة للعباد في الدنيا ولانجاه لهم في الآخرة إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا

[١] "مجموع الفتاوى"، ٢/١.

فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }. فإن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } . وإنما تعبد الله الخلق بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله؛ وما سوى ذلك فضلال عن سبيله. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"، أخرجاه في الصحيحين[1]. وقال صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي: "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كبيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة".[2] وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أنه كان يقول في خطبته : "خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[3]. وقد ذكر الله طاعة وأتباعه في نحو أربعين موضعًا من القرآن كقوله تعالى: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ }، وقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }، وقال سبحانه: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

---

[1] ينظر: صحيح البخاري، ٦٩/٣، صحيح مسلم، ١٣٤٣/٣، حديث (١٧١٨)، سنن أبي داود، ٢٠٠/٤، حديث (٤٦٠٦)، مسند أحمد، ٤٢/ ٦٢، حديث (٢٥١٢٨)، ٤٢/ ٢٩٩، حديث (٢٥٤٧٢).

[2] ينظر: سنن أبي داود، ٢٠٠/٤، حديث (٤٦٠٧)، مسند أحمد، ٢٨/ ٣٧٣، حديث (١٧١٤٤)، ٢٨/ ٣٧٥، حديث (١٧١٤٥).

[3] ينظر: صحيح مسلم، ٥٩٢/٢، حديث (٨٦٧)، سنن النسائي، ٣/ ١٨٨، حديث (١٥٧٨)، النسائي (ت ٣٠٣ هـ): "السنن الكبرى"، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ٣٠٨/٢، حديث (١٧٩٩). وانظر أيضاً: الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ): "اتباع السنن واجتناب البدع"، دراسة وتحقيق: محمد بدر الدين القهوجي، محمد الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }، فبمحمد صلى الله عليه وسلم تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار، وسبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين. [١]

وهكذا فعلم الحكمة الإسلامية هو علم العبودية الحقة والخالصة لله رب العالمين لأن العبادة الناتجة عن التوحيد ليست فروضًا مجردة بل هي: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة". فالصلاة والصيام والزكاة والحج وأداء الأمانة وصدق الحديث وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين والوفاء بالعهود .. والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، والخشية من الله، والإنابة إليه والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه وقدره، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك من العبادة لله. وذلك لأن العبادة هي الغاية المحبوبة المرضية من الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات:٥٦]. [٢]

---

[١] "مجموع الفتاوى"، ٤/١ – ٦.

[٢] ابن تيمية: "العبودية"، تحقيق محمد زهير الشاويش، ط٧، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م، ص ٤٤. وانظر للتوسع في مفهوم التوحيد: أحمد بن حنبل: "العقيدة"، رواية أبي بكر الخلال، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، ط١، دار قتيبة، ١٤٠٨ هـ، المزني (ت ٢٦٤ هـ): "شرح السنة معتقد اسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق جمال

والتوحيد يقتضي الإخلاص، فكما تقدم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال شهدت في رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا، فقال: "طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء". [1]

وعن أبي عبد الله النباجي، قال: خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك أنك إذا عرفت الله ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع. [2]

وعن الربيع بن أنس، قال: علامة الدين الإخلاص لله، وعلامة العلم خشية الله. [3]

وعن أبي ثمامة، قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الإخلاص لله؟ قال: الذي يعمل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس. قالوا: فمن المناصح لله؟ قال:

عزون، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ابن ابي زمنين (ت ٣٩٩ هـ): "أصول السنة"، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، ١٤١٥ هـ.

[1] رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق والورع (ت ٢٨١ هـ)، جمعها وضبطها وخرج أحاديثها وعلق عليها أبو بكر بن عبد الله سعداوي، ط١، المنتدى الاسلامي – الشارقة، المركز العربي للكتاب، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ١/ ٦٧.

[2] نفسه، ١/ ٦٧ – ٦٨.

[3] نفسه، ١/ ٦٨.

الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس، إذا عرض عليه أمران؛ أحدهما للدنيا، والآخر للآخرة، بدأ بأمر الله قبل أمر الدنيا.[1]

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن عتْبَان بن مَالك رضى الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: "إِن الله حرم على النَّار من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله يَبْتَغِي بذلك وَجه الله".[2]

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن أبي هُرَيْرَة أَو أبي سعيد بِالشَّكِّ أَنهم كَانُوا مَعَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي غَزْوَة تَبُوك، فَأَصَابَتْهُمْ مجاعَة فَدَعَا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بنطع فبسطه، ثمَّ دَعَا بِفضل أَزْوَادهم فَجعل الرجل يَجِيء بكف ذرة وَيَجِيء الآخر بكف تمر وَيَجِيء الآخر بكسرة حَتَّى اجْتمع على النطع من ذَلِك شَيْء يسير، فَدَعَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِالْبركَةِ، ثمَّ قَالَ: "خُذُوا فِي أوعيتكم"، فَأخذُوا فِي أوعيتهم حَتَّى مَا تركُوا فِي الْعَسْكَر وعَاء إِلَّا ملؤوه فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وفضلت فضلَة فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُول الله لَا يلقى الله بهما عبد غير شَاك فيهمَا فيحجب عَن الْجنَّة".[3]

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن أبي ذَر رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " قَالَ مَا من عبد قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله ثمَّ مَاتَ على ذَلِك إِلَّا دخل الْجنَّة، قلت: وَإِن زنى وَإِن سرق؟

---

[1] رسائل ابن أبي الدنيا، ١/ ٦٨.

[2] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ): "كلمة الإخلاص وتحقيق معناها"، المحقق: زهير الشاويش، ط٤، المكتب الاسلامي – بيروت، ١٣٩٧، ص ٨، وانظر: صحيح البخاري، ٩٢/١، حديث رقم (٤٢٥)، و ٨/ ٩٠، حديث (٦٤٢٣)، ٩/ ١٨، حديث (٩٦٣٨)، وصحيح مسلم، ٦١/١، حديث (٥٤).

[3] "كلمة الإخلاص"، للسلامي، ص ٨ – ٩.، وانظر: صحيح مسلم، ١/ ٥٦، حديث (٤٥).

قَالَ: "وَإِن زنى وَإِن سرق"، قلت: وَإِن زنى وَإِن سرق؟ قَالَ: "وَإِن زنى وَإِن سرق"، ثَلَاثًا، ثمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَة : "على رغم أنف أبي ذَر"، قَالَ: فَخرج أَبُو ذَر وَهُوَ يَقُول: وَإِن رغم أنف أبي ذَر".[1]

وعن علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه: "العمل الصالح: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله".[2]

ولُبَاب التّوحيد، يقول المقريزي: "أن يرى الأمور كلها لله – تعالى –، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره".[3]

وينبغي أن يكون حال العبد فيما بينه وبين الناس تعاوناً على البر والتقوى، وأن يكون حاله بينه وبين الله تعالى إيثار طاعته وتجنب معصيته، وهو قوله تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [البقرة: ١٨٩]، فأرشدت الآية إلى ذكر واجب العبد بينه وبين الخلق وواجبه بينه وبين الحق. ولا يتم للعبد أداء الواجب الأول إلا بعزل نفسه من الوسط والقيام بذلك لمحض النصيحة والإحسان ورعاية الأمر، ولا يتم له أداء الواجب الثاني إلا بعزل الخلق من البين، والقيام له بالله إخلاصاً ومحبة وعبودية. فينبغي الانتباه لهذه الدقيقة التي كل خلل يدخل على العبد في أداء هذين الأمرين الواجبين إنما هو عدم مراعاتها علماً وعملاً وهذا معنى قول الشيخ عبد القادر – قدس الله روحه –: " كن مع الحق

[1] "كلمة الإخلاص"، ص ١٠، وانظر: صحيح البخاري، ١٤٩/٧، حديث (٥٨٢٧)، صحيح مسلم، ٩٥/١، حديث (١٥٤).

[2] رسائل ابن أبي الدنيا، ١/ ٦٨.

[3] المقريزي (ت ٨٤٥ هـ): "تجريد التوحيد المفيد"، تحقيق طه محمد الزيني، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١.

بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس، ومن لم يكن كذلك لم يزل في تخبيط ولم يزل أمره فرطا ".[1]

فينبغي للموحد الهجرة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو مبدأ الهجرة ومنتهاها وهي هجرة تتضمن (من) و (إلى) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، وهذا هو معنى الفرار إليه قال تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات: ٥٠]، والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه. وتحت (من) و (إلى) في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن إفراده بالطلب والعبودية ولوازمها فهو متضمن لتوحيد الإلهية التي اتفقت عليها دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.[2]

[1] ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ): "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة، ص ١٥.

[2] "الرسالة التبوكية"، ص ١٧.

المبحث الثاني

حكمة النبوة،، طاعة الأنبياء من محبة الله سبحانه وطاعته

ولغاية الدعوة إلى توحيد الله سبحانه، والإخلاص له، وإفراده بالعبودية كانت الحكمة من بعثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.[1]

فقد قال نوح لقومه: { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأعراف: ٥٩].

وعن صالح، قال الله تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الأعراف: ٧٣].

وعن شعيب، قال الله تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [العنكبوت: ٣٦].

وقال الله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [النحل: ٣٦].

[1] عن الحكمة من بعث الرسل، انظر: الشيخ عبد الرزاق عفيفي: "الحكمة من إرسال الرسل: منهج الرسل في الدعوة إلى الله، الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله"، ط٢، دار الصميعي، السعودية، ١٤٢٠ هـ.

وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥].

وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [المؤمنون: ٥١ – ٥٢].

وجعل ذلك لازماً لرسوله عليه الصلاة والسلام: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].

وبذلك وصف أنبياءه ورسله، فقال سبحانه: { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وذم المستكبرين عن عبادته، فقال سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠].

ووصف أولياءه بالعبودية، فقال سبحانه: { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } [الإنسان: ٦]. [١]

وبهذا، فالنبوة واجبة الاتباع، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإخوانه من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين من طاعة الله سبحانه.

قال تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: ٣١]، وبهذا أمر الله سبحانه عباده المؤمنين في مواضع أخرى من كتابه الحكيم، [آل عمران : ١٣٢]، [النساء: ٥٩]، [المائدة : ٥٩]، [الأنفال: ١]، [الأنفال : ٤٦]، [النور : ٥٤]، [محمد : ٣٣]، [المجادلة: ١٣]، [التغابن : ١٢].

[١] "العبودية"، ص ٤٤ – ٤٥.

هذا طريق السعادة في دار النعيم وطريق النجاة من العذاب الأليم. والطريق إليه لا يكون بمجرد العقل بل لا بد من الرواية والنقل. فالعقل لا يهتدي لوحده بل لابد من أن تطلع عليه شمس الرسالة. فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام، وكان معرفة ما أمر الله به رسوله عليه الصلاة والسلام واجباً على جميع البشر. والله سبحانه بعث نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام بالكتاب والسنة، وبهما تمت النعمة على الأمة المسلمة، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: قال تعالى: { وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [البقرة: ١٥٠].

وقال سبحانه: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٥١].

وقال سبحانه: { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: ١٦٤].

{ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ } [المائدة:٧].

وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة:٢].

وقال تعالى: عن إبراهيم عليه السلام: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة:١٢٩].

وقال سبحانه: { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا } [الأحزاب: ٣٤].

وقد قال عدد من العلماء منهم: قتادة والشافعي ويحي بن أبي كثير وغيرهم (الحكمة) هنا: هي السنة لأن الله أمر أزواج نبيه عليه الصلاة والسلام أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلوه السنة.[1]

وفي البخاري أن من علامات حب الله عز وجل اتباع النبي صلى الله عليه وسلم. لقوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران : ٣١]. عن النبي صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب". [2]

وعن أبي وائل، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب". [3]

وعن أنس بن مالك: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: "ما أعددت لها؟" قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت". [4]

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا". [1]

---

[1] "مجموع الفتاوى"، ٦/١.

[2] صحيح البخاري، ٨/ ٣٩، حديث (٦١٦٨).

[3] نفسه، ٨/٣٩، حديث (٦١٦٩).

[4] نفسه، ٨/٤٠، حديث (٦١٧١).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا".[٢]

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله".[٣]

وعن أبي الدرداء، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: "الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبّن عليكم الدنيا صبّاً، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه. وايم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء". قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء".[٤]

وعن العرباض بن سارية قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فوعظنا موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله: وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد، فقال: "عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، وسترون من بعدي اختلافاً شديداً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء

---

[١] سنن ابن ماجه، ٣/١.

[٢] سنن ابن ماجه، ٣/١.

[٣] نفسه، ٤/١.

[٤] نفسه، ٤/١.

الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة".[1]

وعن جابر بن عبد الله: فحذرنا الله ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم المحدثات والأهواء الصادة عن اتباع أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يدع عبده المؤمن مع ما يبين له في كتابه وسنة نبيه حتى يعظه، وينبهه بالخطر بقلبه ليعتصم بذلك من دعاء الشياطين إلى الصد عن سبيله وعن طريق مرضاته.[2]

جاء في صِفَّةُ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عليه وسلم- من الإنجيل:

كما قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ -فِيمَا بَلَغَنِي عَمَّا كَانَ وَضعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِيمَا جَاءَهُ مِنْ اللهِ فِي الإنجيل لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ -مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا أَثْبَتَ يُحَنَّس الْحَوَارِيُّ لَهُمْ، حِينَ نَسَخَ لَهُمْ الإنجيل عَنْ عَهْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلَيْهِمْ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الربَّ، وَلَوْلَا أَنِّي صَنَعْتُ بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعْهَا أحدٌ قَبْلِي، مَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ، وَلَكِنْ مِنْ الْآنَ بَطِرُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَعُزُّونني، وَأَيْضًا لِلرَّبِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتِمَّ الكلمةُ الَّتِي فِي النَّامُوسِ: أَنَّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجَّانًا، أَيْ: بَاطِلًا. فَلَوْ قَدْ جَاءَ المنحمنّا هَذَا الَّذِي

[1] نفسه، ١٥/١، تقدم تخريج الحديث.

[2] المروزي (ت٢٩٤هـ): "السنة"، تحقيق سالم أحمد السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٨ هـ، ص ١٠.

يُرْسِلُهُ اللهُ إليكم من عند الربِّ، وروح القُدس هَذَا الَّذِي مِنْ عِنْدَ الرَّبِّ خَرَجَ، فَهُوَ شَهِيدٌ عليَّ وَأَنْتُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّكُمْ قديمًا كُنْتُمْ مَعِي فِي هَذَا، قُلْتُ لَكُمْ: لِكَيْمَا لَا تَشْكُوا".

والمُنْحَمَنَّا بِالسُّرْيَانِيَّةِ: مُحَمَّدٌ: وَهُوَ بِالرُّومِيَّةِ: البرقْلِيطِس، صلى الله عليه وسلم.[1]

يركز علم الحكمة الإسلامية على دراسة السنة والسيرة النبوية بكل تفاصيلها وابعادها من أجل استخلاص دروس العلم والعمل فيما يتعلق بالنظرة للتاريخ والحاضر والمستقبل، فالسنة والسيرة النبوية معين لا ينضب من الحكمة.

ومن أجل الاشارة إلى بعض هذه الاستذكارات نقتبس المعين الاتي من السيرة النبوية:

فمن هذه الدروس ذلك الحدث الهائل الذي شرع للإنسانية تاريخاً وفتحاً جديداً، وأخرجها من ظلمات الجاهلية، هذا الحدث هو بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عن عروة عن عائشة أنها قالت: "أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئاً إلا جاءت كفلق الصبح. فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده".

[1] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، بدون بيانات أخرى، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ٢١٥/١.

وعن ابن إسحق قال: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية، عن بعض أهل العلم: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله عز وجل كرامته، وابتدأه بالنبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك، رسول الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة ينسك فيه، وكان من نسك في الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذي أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنه التي بعثه فيها، وذلك شهر رمضان، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يخرج لجواره، وخرج معه بأهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله عز وجل فيها برسالته، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جاءني وأنا نائم، فقال: "اقرأ"، فقلت: "وما أقرأ ؟" حتى ظننت أنه الموت، ثم كشطه عني فقال: "اقرأ"، فقلت" "وما أقرأ؟"، فعاد لي بمثل ذلك، ثم قال: "اقرأ"، فقلت: "وما أقرأ؟"، "وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي"، فقال:

{ اقْرَأْ بِاسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) } ثم انتهى فانصرف عني، وهببت من نومي، وكأنما صور في قلبي كتاب، ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أنظر إليهما، فقلت: إن الأبعد- يعني نفسه، صلى

الله عليه وسلم- لشاعر أو مجنون، ثم قلت: لا تحدث قريش عني بهذا أبداً، لأعمدن إلى حالق من الجبل، فلأطرحن نفسي منه، فلأقتلنها، فلأستريحن، فخرجت ما أريد غير ذلك، فبينا أنا عامد لذلك سمعت منادياً ينادي من السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، وشغلني عن ذلك وعما أريد، فوقفت ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها، فما زلت واقفا ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول، ثم انصرف عني، وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما أعلم من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك، وما ذاك يا ابن عم، لعلك رأيت شيئاً أو سمعته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: أبشر يا بن عم، واثبت له، فو الذي تحلف به إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل- وهو ابن عمها، وكان قد قرأ الكتب، وكان قد تنصر، وسمع التوراة والانجيل، فاخبرته الخبر، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة، إنه لنبي هذه الأمة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام،

فقولي له فليثبت، ورجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ما قال لها ورقة، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخ أخبرني بالذي رأيت وسمعت، فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم خبره، فقال ورقة: والذي نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام، وإنك لنبي هذه الأمة، ولتؤذين، ولتكذبن، ولتقاتلن، ولتنصرن، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصراً يعلمه الله، ثم أدنى إليه رأسه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتاً، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم".[1]

على الحكماء المسلمين أن يبذلوا أقصى جهدهم من أجل فهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفهم سنته عليه الصلاة والسلام. فعليهم أن يفهموا الدروس الكامنة في مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"ومن ذلك قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ، وَيُقَالُ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ، وَالثّابِتُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ. فَكَانَ أَوّلُ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مُهَاجَرَةِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، يَعْتَرِضُ لِعِيرِ قُرَيْشٍ. ثُمّ لِوَاءُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ فِي شَوّالٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنْ

[1] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ): "سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ١/ ١٢٠ – ١٢٢.

الْهِجْرَةِ إِلَى رَابِغٍ- وَهِيَ عَلَى عَشْرَةِ أميال من الجحفة وأنت تريد قديد- وَكَانَتْ فِي شَوّالٍ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ. ثُمّ سَرِيّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ إِلَى الْخَرّارِ، عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ. ثُمّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَفَرٍ، عَلَى رَأْسِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، حَتّى بَلَغَ الْأَبْوَاءَ، ثُمّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَغَابَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. ثُمّ غَزَا بُوَاطَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ، عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا، يَعْتَرِضُ لِعِيرِ قُرَيْشٍ، فِيهَا أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ وَمِائَةُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَلْفَانِ وَخَمْسُمِائَةِ بَعِيرٍ، ثُمّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا- وَبُوَاطُ هِيَ مِنْ الْجُحْفَةِ قَرِيبٌ. ثُمّ غَزَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا، فِي طَلَبِ كرز بن جابر الفهرىّ حتى بلغ بدار، ثُمّ رَجَعَ. ثُمّ غَزَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ سِتّةَ عَشَرَ شَهْرًا، يَعْتَرِضُ لِعِيرَاتِ قُرَيْشٍ حِينَ بَدَتْ إِلَى الشّامِ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي الْعَشِيرَةِ، ثُمّ رَجَعَ".[1]

وأن يهتموا اهتماماً بالغاً بدراسة شمائله عليه الصلاة والسلام، ومن هذه الشمائل ما جاء في شعره، وشيبه، وتخضبه، وكحله، ولباسه، وخاتمه، وتختمه، وعمامته، ومن ذلك أيضاً ما جاء في نعله: عن ابن عباس قال:«كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما".[2]

وأن يهتموا بدراسة نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام، فهو:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

[1] انظر في ذلك: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ): "المغازي"، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي – بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٩، ٢/١.

[2] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): "الشمائل المحمدية"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، ٦٣/١.

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن اسماعيل بن إبراهيم صلاة الله عليهم أجمعين.[1]

على الحكماء المسلمين أن يأخذوا على عاتقهم دراسة كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدق وبكاء ودعاء وخشوع وأذكار وتضرع وجوار وقتال وهدنة وخطابة وغيره، وأن يدرسوا كل السيرة والسنة دراسة مستفيضة من أجل استخلاص دروس الحكمة الإسلامية بما يتعلق بالقول والعمل كليهما، لعلهم يفوزون برضى الله سبحانه وبشفاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام إذا بعث بنو آدم إلى مشهد يوم عظيم.

[1] عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ): "شرف المصطفى"، ط١، دار البشائر الاسلامية – مكة ، ١٤٢٤ هـ، ١٢/٢.

المبحث الثالث

يوم القيامة ،، الاستعداد ليوم المعاد

إن واحدة من مهمات علم الحكمة الإسلامية الأساسية تهيئة الإنسان ليوم القيامة، والاستعداد ليوم المعاد، ذلك اليوم العظيم:

" يَوْم الْقِيَامَة، وَمَا أَدْرَاك مَا يَوْم الْقِيَامَة؟ ثمَّ مَا أَدْرَاك مَا يَوْم الْقِيَامَة؟ يَوْم الْحَسْرَة والندامة، يَوْم يجد كل عَامل عمله أَمَامه، يَوْم الدمدمة، يَوْم الزلزلة، يَوْم الصاعقة، يَوْم الْوَاقِعَة، يَوْم الراجفة، يَوْم الرادفة، يَوْم الغاشية، يَوْم الداهية، يَوْم الآزفة، يَوْم الحاقة، يَوْم الطامة، يَوْم الصاخة، يَوْم التلاق، يَوْم الْفِرَاق، يَوْم المساق، يَوْم الإشفاق، يَوْم الْقصاص، يَوْم لات حِين مناص، يَوْم التناد، يَوْم الْإِشْهَاد، يَوْم الميعاد، يَوْم المرصاد، يَوْم المساءلة، يَوْم الْحساب، يَوْم المناقشة، يَوْم المآب، يَوْم الْعَذَاب، يَوْم الْقَرار إِمَّا فِي الْجنَّة وَإِمَّا فِي النَّار، يَوْم الْقَضَاء، يَوْم الْجَزَاء، يَوْم الْبكاء، يَوْم الْبلَاء، يَوْم تمور السَّمَاء موراً، وتسير الْجبَال سيراً، يَوْم الْحَشْر، يَوْم النشر، يَوْم الْجمع، يَوْم الْبَعْث، يَوْم الْعرض، يَوْم الْوزر، يَوْم الْحق، يَوْم الحكم، يَوْم الْفَصْل، يَوْم الْجَزَاء، يَوْم عَظِيم، يَوْم عقيم، يَوْم عسير، يَوْم قمطرير، يَوْم النشور، يَوْم الْمصير، يَوْم الدّين، يَوْم الْيَقِين، يَوْم النفخة، يَوْم الصَّيْحَة، يَوْم الرجفة، يَوْم الرجة، يَوْم الزجرة، يَوْم السكرة، يَوْم الْفَزع، يَوْم الْجزع، يَوْم القلق، يَوْم الْفرق، يَوْم الْعرق، يَوْم الْمِيقَات، يَوْم يخرج الْأَمْوَات، وَتظهر المخبآت، يَوْم الانشقاق، يَوْم الانكدار، يَوْم

الانتشار، يَوْم الانفطار، يَوْم الافتقار، يَوْم الْوُقُوف، يَوْم الْخُرُوج، يَوْم الانصداع، يَوْم الِانْقِطَاع، يَوْم مَعْلُوم، يَوْم مَوْعُود، يَوْم مشهود، يَوْم تبلى السرائر، يَوْم تخرج الضمائر، يَوْم لَا تغنى نفس عَن نفس شَيْئاً، يَوْم لَا تملك نفس لنَفس شَيْئاً، يَوْم يدعى فِيهِ إِلَى النَّار يَوْم يسجن فِيهِ فِي النَّار، يَوْم تقلب الْوُجُوه فِيهِ فِي النَّار يَوْم البروز إِلَى الله، يَوْم الصُّدُور إِلَى الله، يَوْم لَا تَنْفَع المعذرة، يَوْم لَا يرتجى إِلَّا من الله الْمَغْفِرَة وأهول أسمائِهِ، وأشنع ألقابه يَوْم الخلود، وَمَا أَدْرَاك مَا يَوْم الخلود؟ يَوْم لَا انْقِطَاع لعذابه، وَلَا آخر لعقابه، وَلَا يكْشف فِيهِ عَن كَافِر مَا بِهِ، ونعوذ بِاللهِ ثمَّ نَعُوذ بِاللهِ من بلائه وَسُوء قَضَائِهِ بكرمه وَرَحمته".[1]

وصف الله سبحانه يوم القيامة بأوصاف عديدة، منها يوم القيامة، فقال سبحانه: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [القيامة: ١]

ويوم الحسرة، فقال تعالى :{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) } [مريم: ٣٩].

وبالزلزلة، فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ (٢) } [الحج: ١-٢].

[1] عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (المتوفى: ٥٨١هـ): "العاقبة في ذكر الموت"، المحقق: خضر محمد خضر، ط١، مكتبة دار الأقصى – الكويت، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ص ٢٥٠-٢٥١.

وبالواقعة، فقال تعالى: { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) } [الواقعة: ١-٢].

وبالغاشية، فقال سبحانه: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) } [الغاشية: ١ - ١٦].

وهو يوم الراجفة ويوم الرادفة، قال سبحانه: { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) } [النازعات: ٦-٧].

وهو يوم الآزفة، قال تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)} [غافر: ١٨].

وهو يوم الحاقة، قال تعالى: { الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) } [الحاقة: ١-٣].

وهو يوم الطامة الكبرى، قال تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ

أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) } [النازعات:٣٤-٤٦].

وهو يوم التناد، قال تعالى: { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) } [غافر: ٣٢].

وهو يوم الصاخة، قال تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) } [عبس: ٣٣-٤٢].

وهو: { يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) } [الطور: ٩-١٠].

وهو يوم عبوس قمطرير، قال تعالى: { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) } [الانسان: ١٠].

وهو يوم الانشقاق، قال تعالى: { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) } [الانشقاق: ١-٥].

وهو اليوم الموعود، قال سبحانه: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) } [البروج: ١-٣].

نعوذ بالله سبحانه من ذلك اليوم، ونسأله جنة عرضها السموات والأرض من غير حساب أعدت للمتقين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». [1]

وعَنْ نُعَيْمٍ المُجْمِرِ، قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ المَسْجِدِ، فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». [2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ المُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا، إِذْ طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالعَرْفُ عَرْفُ المِسْكِ». [3]

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». [4]

[1] صحيح البخاري، ١/ ٣١، حديث (٩٩).

[2] نفسه، ١/٣٩، حديث (١٣٦).

[3] صحيح البخاري، ١/٥٦، حديث (٢٣٧).

[4] نفسه، ١/٩٣، حديث (٤٢٧).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ".[1]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ

[1] نفسه، ١/١٢٦، حديث (٦١٤).

امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ».[1]

ولذلك لا بد من لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات، كما أكد الدارمي، والذي روى عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا من ذكر هاذم اللذات الموت"[2]. وذكر أن الواجب على الانسان أن يتذكر الموت على الأوقات كلها، وأن يترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها، إذ الموت رحى دوارة بين الخلق، وكأس يدار بها

[1] صحيح البخاري، ١٦٠/١، حديث (٨٠٦).

[2] الحديث أخرجه الترمذي، ٥٥٣/٤، حديث رقم (٢٣٠٧)، والنسائي ٤/٤/، حديث (١٨٢٤)، وابن ماجه، ٢/ ١٤٢٢، حديث (٤٢٥٨)، واحمد، ٣٠١/١٣، حديث (٧٩٢٥). وانظر: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ): "الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)"، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ، ٣٧/٢، ومصنف ابن أبي شيبة، ٧٨/٧، حديث (٣٤٣٢٦)، و٧٨/٧، حديث (٣٤٣٢٧)، ومسند البزار، ٣٥٢/١٣، حديث (٦٩٨٧)، والسنن الكبرى للنسائي، ٣٧٩/٢، حديث (١٩٦٣)، وصحيح ابن حبان، ٢٥٩/٧، حديث (٢٩٩٢)، و ٢٦٠/٧، حديث (٢٩٩٣)، ومواضع أخرى كثيرة في صحيح ابن حبان، و"المعجم الاوسط"، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة ، ٥٦/٦، حديث (٥٧٨٠)، و٢٥٦/٨، حديث (٨٥٦٠)، و"المستدرك على الصحيحين"، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠م، ٣٥٧/٤، حديث (٧٩٠٩)، و"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، ٣٥٥/٦، و"شعب الإيمان"، للبيهقي، ٢٤٦/٢، حديث (٨٠٢)، و٢٤٧/٢، حديث (٨٠٣)، ومواضع أخرى من الشعب، و"الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما"، لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٧٦/٥، حديث رقم (١٧٠١).

عليهم، لا بد لكل ذي روح أن يشربها، ويذوق طعمها، وهو هاذم اللذات، ومكدّر الأوقات، ومنغص الشهوات، ومزيل العاهات.[1]

قَالَ أَبُو بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ: "اتَّقِ الله بِطَاعَتِهِ، وأطع الله بتقواه، ولتخف يداك من دِمَاء الْمُسلمين، وبطنك من أَمْوَالهم، وَلِسَانك من أعراضهم، وحاسب نَفسك، فِي كل خطرة وراقب الله فِي كل نفس".

وقَالَ عمر رَضِي الله عَنهُ: "حاسبوا أَنفسكُم قبل أَن تحاسبوا، وزنوها قبل أَن توزنوا، وتزينوا للعرض الْأَكْبَر يَوْم لَا تخفى مِنْكُم خافية. وخف الله فِي دينك، وارجه فِي جَمِيع أمورك، واصبر على مَا أَصَابَك".

وقَالَ عَليّ رَضِي الله عَنهُ: "لَا تخف إِلَّا ذَنْبك، وَلَا ترج إِلَّا رَبك، وَلَا يستحي الَّذِي يعلم أَن يسْأَل حَتَّى يعلم، وَلَا يستحي من يسْأَل عَمَّا لَا يعلم أَن يَقُول لَا أعلم".[2]

نقد حداثة الدنيوة
على ضوء الايمان بيوم القيامة:

بعد كل هذا عن يوم القيامة، وعن ضرورة ذكر الموت، والدعوة للاستعداد ليوم المعاد يطلع علينا الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر الآن تورين ليضع خارطة طريق نقدية للحداثة الدنيوية، ولننظر ما الذي حدث:

---

[1] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٨٣.

[2] الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ): "رسالة المسترشدين"، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الاسلامية – حلب – سوريا، ١٣٩١ – ١٩٧١، ص ٤٦ – ٤٩.

فكرة الحداثة، يفتتح تورين مشروعه بهذه الفكرة، هي التأكيد أن الانسان هو ما يصنعه، وينبغي أن يوجد توافق وثيق بين العلم والتكنولوجيا، أو الإدارة شديدة الفعالية وتنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون وبين الحياة الشخصية التي تحركها المنفعة كما تحركها أيضاً إرادة التحرر من كل القيود. هذا الوضع يبين انتصار العقل، فهو وحده يوطد التوافق بين العمل الإنساني ونظام العمل، وهو ما سعت إليه الكثير من الديانات التوحيدية، ولكن شلتها الديانات التوحيدية القائمة على الوحي. والبديل عن الوحي هو العقل الذي يبعث الحياة في العلم وتطبيقاته، وهو الذي يحكم تكيف الحياة الاجتماعية للحاجات الفردية والاجتماعية، وهو الذي يحل دولة القانون، والسوق، محل التعسف والدنيا، وحين تتصرف الإنسانية بحسب قوانينه تتقدم في آن واحد نحو الوفرة والحرية والسعادة.[1]

إذن هذه هي مقدمة الحداثة الدنيوية، كما يريدها تورين ومن قبله مفكروها الدنيويون حداثة تجعل الإنسان المحور، هذا الإنسان الذي انتصر عقله، ولا أدري كيف انتصر؟ وأين؟ ومتى؟ ونحن لا زلنا نشهد كل هذه الحروب والدمار والخراب الذي يلحقه الإنسان بأخيه الإنسان وبالطبيعة في الوقت ذاته، وهو، أي هذا الإنسان، طبعاً في

[1] تورين: "نقدالحداثة"، القسم الأول: "الحداثة المظفرة"، ترجمة صياح الجهيم، منشورات وزراة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٣. ولمزيد من المتابعة عن الحداثة الغربية، انظر على سبيل المثال:

Lawrence Rainey, ed., Modernism: An Anthology (MA: John Wiley & Sons, 2005); Peter Child, Modernism (New York: Routledge, 2000); Tim Armstrong, Modernism: A Cultural History (Cambridge: Polity, 2005); Michael Treichler, Modernismus und Typologisierung Des Nationalismus: Über Die Wechselwirkung Zweier Bestandteile Von Nationalismustheorien Des 20. Jahrhunderts (Germany: Grin, 2005).

قياساته الغربية قد قرر الانتحار والعدمية والتدهور.[1] والذي يحكم حركة الإنسان في هذه الحياة هو قانون السوق والوفرة والسعادة، والسؤال هنا: هل حققت قوانين السوق السعادة للإنسان؟ وإن كانت كذلك، وهي ليست كذلك، إذن لماذا أقدم على الانتحار في غمرة هوسه بقوانين السوق؟

ويواصل تورين حديثه مزهواً عن حداثة الدنيوة بأنها تؤكد أن من المستحيل على أي مجتمع يدعي الحداثة اليوم أن ينظم نفسه أو أن يتصرف طبقاً لوحي إلهي أو لجوهر قومي. إن الحداثة هي انتشار منتجات النشاط العقلاني والعلمي والتكنولوجي والإداري. فهي تتضمن التفريق المتزايد بين مختلف القطاعات للحياة الاجتماعية: السياسية والاقتصادية، والحياة العائلية، والدين، والفن على الخصوص. إن الحداثة، يفتخر تورين، تستبعد كل غائية، والدنيوة، وانقشاع الأوهام والسحر الذي تحدث عنه ويبر. وهي تقوم على القطيعة مع غائية الفكر الديني الذي ينادي دائماً بغاية للتاريخ، وبالتحقيق التام لمشروع إلهي أو باختفاء الإنسانية المنحرفة التي خانت رسالتها. يقول تورين ملخصاً: "تحل فكرة الحداثة، في مركز المجتمع، العلم محل الله، تاركة في أفضل الحالات، المعتقدات الدينية في داخل الحياة الخاصة".[2]

هذه هي البدائل التي تريد حداثة الدنيوة أن تحل محل الله سبحانه: العقل، العلم، التكنولوجيا، الدنيا، السوق، وغيرها. ولا يسع المسلم إلا أن يعبد الله وحده سبحانه وأن

[1] انظر مقالي: "ما وراء الغرب: الانتحار والعدمية والتدهور"، منشور في موقع الحوار المتمدن، الحوار المتمدن، العدد ٣٩٦١، ٢٠١٣/١/٣، على الرابط الاتي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339503

[2] تورين: نقد الحداثة، ١/ ١٥ – ١٦.

يكون رجوعه في الحكم إلى الله سبحانه. مستمسكاً في ذلك بقول نبي الله يوسف عليه السلام: { إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أسماء سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) } [يوسف: ٤٠].

يقول سيد قطب: "الكفر هو أشنع الفساد. وأشنع الإفساد.. إن الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلا على أساس الإيمان بالله الواحد، والعبودية لإله واحد.. وإن الأرض لتفسد حين لا تتمحض العبودية لله في حياة الناس.. إن العبودية لله وحده معناها أن يكون للناس سيد واحد، يتوجهون إليه بالعبادة وبالعبودية كذلك، ويخضعون لشريعته وحدها فتخلص حياتهم من الخضوع لأهواء البشر المتقلبة، وشهوات البشر الصغيرة! .. إن الفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكون هناك أرباب متفرقون يتحكمون في رقاب العباد- من دون الله- وما صلحت الأرض قط ولا استقامت حياة الناس إلا أيام أن كانت عبوديتهم لله وحده- عقيدة وعبادة وشريعة- وما تحرر «الإنسان» قط إلا في ظلال الربوبية الواحدة.."[1].

[1] سيد قطب (المتوفى: ١٣٨٥هـ): "في ظلال القرآن"، ط ١٧، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ١٤١٢ هـ، ١٣٤٥/٣.

من هنا يتبين أن الحداثة كما نظر لها مفكروها الدنيويون تسير على نفس خطأ المنهج الذي يتبع خط الجاهليات التي عرفتها البشرية، ويهمل خط التوحيد الذي جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وحتى حين يصلون إلى أثر من آثار التوحيد الذي جاءت به الرسالات رأساً في إحدى الجاهليات التاريخية في صورة توحيد مشوه كتوحيد أخناتون مثلاً في الديانة المصرية القديمة فإنهم يتعمدون إغفال أثر رسالة التوحيد- ولو على سبيل الاحتمال- وقد جاء أخناتون في مصر بعد عهد يوسف- عليه السلام- وتبشيره بالتوحيد كما جاء في القرآن الكريم- حكاية عن قوله لصاحبي السجن في سورة يوسف-:

«إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أسماء سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ».(يوسف: ٣٧- ٤٠) وهم إنما يفعلون ذلك، لأن المنهج كله إنما قام في البداية على أساس العداء والرفض للمنهج الديني، بسبب ما ثار بين الكنيسة الأوربية والبحث العلمي في كل صوره في مدة من التاريخ. فبدأ المنهج وفي عزم أصحابه أن يصلوا إلى ما يكذب مزاعم الكنيسة من أساسها، للوصول إلى تحطيم الكنيسة ذاتها. ومن أجل هذا جاء منهجاً منحرفاً منذ البدء، لأنه يتعمد الوصول سلفاً إلى نتائج معينة، قبل البدء في البحث! وحتى حين هدأت حدة العداء

للكنيسة بعد تحطيم سيطرتها العلمية والسياسية والاقتصادية الغاشمة فإن المنهج استمر في طريقه. لأنه لم يستطع أن يتخلص من أساسه الذي قام عليه، والتقاليد التي تراكمت على هذا الأساس، حتى صارت من أصول المنهج!.[1]

بهذه الكلمات أقدم نقداً لمشروع حداثي دنيوي جعل هم الإنسان في منفعته الذاتية، وأحلّ مسائل دنيوية محضة محل العبادة لله سبحانه. أما علم الحكمة الإسلامية، فهو يقلب المعادلة الحداثية رأساً على عقب، لأنه يجعل هم الإنسان الأعظم في عبادة الله سبحانه، وفي اتباع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وفي الاستعداد ليوم المعاد. علم الحكمة الإسلامية يريد من العقل الإنساني أن يفكر وأن يتصرف طبقاً لقوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) } [القصص: ٧٧].[2]

[1] سيد قطب: "في ظلال القرآن"، ١٩٤٤/٤.

[2] قدمت نقداً للحداثة الغربية في كتابي الموسوم: "الحداثة المقلوبة: نقد النقد الاوربي حول مفهوم الدين وماهية الفلسفة وإيديولوجيا العلم"، ط١، المركز العلمي، بغداد، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١١م، وانظر بالأخص منه: المحاورة الأولى: "تمهيد لفلسفة الحداثة التنويرية الدينية بواسطة نقد المفهوم الديني في مشروع تورين لنقد الحداثة"، ص ١٣ – ٧٧، وانظر أيضاً بحثي: "طه عبد الرحمن والمراجعة النقدية للعولمة"، بحث منشور في كتاب: "أزمة الفلسفة في العالم العربي"، أعمال المؤتمر الفلسفي الثامن لبيت الحكمة البغدادي، إشراف ومراجعة أ. د. حسام الالوسي، إعداد م.م. هديل سعدي موسى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٩ م، ص ٤٤٩ – ٤٧٢.

الفصل الثالث

علم الحكمة الإسلامية

في مواجهة مشكلات الإنسان

والتاريخ والعالم وقضايا العصر

المبحث الأول

البصيرة.. الحكمة الإسلامية ليست هي الفلسفة

وبهذه الأسس المرتبطة بالتوحيد والنبوة يتضح المفهوم الدقيق لعلم الحكمة الإسلامية، فهو العلم المبني على أسس الوحي (القرآن الحكيم والسنة النبوية)، بحيث تشكل هذه القيمة المنهج الرئيس للعقل في استخراج مسائل الحكمة الموجودة في المصدرين العظيمين المذكورين، وإعادة تفسير كل المسائل المرتبطة بالله سبحانه والنبوة والمعاد والإنسان والكون على أساسهما.

وهو بهذا المفهوم يقترب جداً أو يكاد يكون هو نفسه التعريف الذي عرّف به الدكتور محسن عبد الحميد (للفكر الإسلامي) إذ قال:

"مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وهو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل

الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً".[1]

ويؤكد د. محسن عبد الحميد أن كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي، لأن قولنا "فكر إسلامي" يعني وصفنا إياه بصفة "الإسلامي" وليس من المنطق العقلي السليم أن يحسب فكر ما على الإسلام وهو ليس بإسلامي، بل يوصف بأنه فكر عام لم ينطلق من الإسلام، وإنما انطلق من أديان ومناهج وعقائد أخرى تقترب من الإسلام أحياناً وتبتعد عنه أحياناً أخرى. كما ينبغي التأكيد على حقيقة أخرى أن هذا الفكر ليس هو الإسلام نفسه، ويجب الا يخلط به، لأن خلطه به يؤدي إلى إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي. فمن أخطر الأمور أن تتحول الافكار البشرية في نواحي الحياة إلى دين مقدس يحاسب الناس عليه، فالنتيجة الطبيعية إدخال فساد كبير على مبادئ الدين الحق وتشويهه وتحريفه عن الغاية التي جاء من أجل تحقيقها في المجتمع الإنساني. والنتيجة الأخرى تقييد الفكر عن الحركة والاجتهاد أمام تلك القضايا بدعوى أنها معصومة لا يجوز الاجتهاد فيها.[2]

ولأن التوحيد يشكل الأصل الأول بالنسبة لعلم الحكمة الإسلامية فهو ينظر من هذا الأساس الى الخطأ الذي وقع فيه سقراط في أول (محاورة الجمهورية) إذ قال:

---

[1] د. محسن عبد الحميد: "الفكر الاسلامي: تقويمه وتجديده"، ط١، دار الانبار، العراق، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، ص ٧، وللتوسع في مفهوم الفكر الاسلامي، انظر: رواء محمود حسين: "إشكالية الحداثة في الفلسفة الاسلامية المعاصرة: دراسة وصفية"، ط١، دار الزمان، دمشق، ٢٠١٠ م، ص ٣١٥ وما بعد.

[2] د. محسن عبد الحميد: "الفكر الاسلامي"، ص ٧-٨.

"ذهبت البارحة إلى البيريوس مع كلوكون بن أريسطون لتقديم صلواتي إلى الآلهة. ولأنني أردت رؤية كيفية احتفالهم بالعيد الذي كان شيئاً جديداً، كنت مسروراً أثناءه بموكب القاطنين، مع أن الذي يخص التراقيين كان مساوياً له، إن لم يكن أكثر جمالاً. عندما أنهينا صلواتنا وعاينّا المشهد، توجهنا نحو المدينة". [1]

فمن أول مقطع في (محاورة الجمهورية) يسقط سقراط في براثن الوثنية إذ يبين أن المرجعية التي ينطلق منها، أي المرجعية الدينية، هي مرجعية تعدد الآلهة، وهذا ما يرفضه علم الحكمة الإسلامية، لأن مرجعيته الدينية هي (التوحيد)، أي توحيد الله سبحانه، وإفراده بالعبودية والتنزيه والتسبيح، وما ينبني عليه، أي على التوحيد، من قيم وتطبيقات تخص الإيمان والعمل. وفي هذا السياق، يحق لنا أن نسأل: كيف يمكن أن يكون سقراط مرجعاً لأي فليسوف آمن بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وسقراط يحتفي بتعدد الآلهة؟!

يقول سقراط في (محاورة الجمهورية):

"لا شيء لنا، لكن لأبوللو، إلهِ دلفي العظيم، يبقى له تنظيم أعظم وأنبل وأعلى الأشياء كلها". ويضيف: "تأسيس الهياكل والتضحيات ومجمل الخدمات للآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال؛ أيضاً تنظيم مستودعات الموتى والحقوق المقدسة التي يجب أن يهتم بها من سيسترضي سكان العالم السفلي. إن هذه المسائل التي نجهلها نحن أنفسنا كمؤسسي مدينة، سنكون أغبياء في منح ثقتنا لأي مترجم غير الذي له علاقة بأسلافنا واقتبس

[1] أفلاطون: "المحاورات الكاملة"، نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤١.

منهم. ويكون أبوللو، الجالس وسط الأرض، هو الذي له علاقة بأسلافنا وهو المترجم لملاحظات كهذه لكل الجنس البشري".[١]

ويقول سقراط عن الإله أبوللو:

"يجب أن نستعلم من الإله أبوللو كيف سننظم قبر الأشخاص الإلهيين وقبر الأبطال، وماذا ستكون رتبتهم الخاصة. ويجب علينا أن نفعل كما يأمر".[٢]

وبهذا الإيمان السقراطي المطلق بأبوللو يتبين سقوط مذهب سقراط في تحديد مفهوم الفلسفة، فالفيلسوف عنده هو من "يملك تذوقاً لكل نوع من أنواع المعرفة والذي يكون فضولياً كي يتعلم، ولا يكون قانعاً أبداً يمكن أن يسمى فيلسوفاً بعدل". وأن الفلاسفة "هم عشّاق رؤيا الحقيقة".[٣]

فلا يمكن أن يكون للحقيقة أساس قبلي يتمثل في (تعدد الآلهة) أو حتى في أبوللو لأن الحقيقة، في ضوء علم الحكمة الإسلامية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد، فتوحيد الله سبحانه واتباع الرسل الذين بعثهم الله تعالى إلى البشر هادين ومبشرين ومنذرين هو المصدر لكل الحقائق التي يعتقدها الحكماء المسلمون.

---

[١] أفلاطون: "محاورة الجمهورية"، ص ١٩١.

[٢] نفسه، ص ٢٥٥.

[٣] نفسه، ص ٢٥٦. ولمزيد من المتابعة عن أفكار سقراط، ينظر:

Pamela Dell, Socrates: Ancient Greek in Search of Truth (Minneapolis: Compass Point Books, 2007); Socrates: Ironist and Moral Philosopher (New York: Cambridge University Press, 1991); William Watson Godwin, Socrates: A Translation of Apology, Crito and Parts of the Phaedo of Plato (New York: Charles Scribner's Sons, 1879); Louis E. Navia, Socrates: A Life Examined (New York: Prometheus Books, 2007).

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني:

" (يا قوم) اعرفوا الله ولا تجهلوه، واطيعوا الله ولا تعصوه، ووافقوه ولا تخالفوه، وارضوا بقضائه ولا تنازعوه، واعرفوا الحق عز وجل بصنعته، هو الخالق الرازق، الأول والآخر والظاهر والباطن، هو القديم الأول، الدائم الأبدي، الفعّال لما يريد". [1]

وفي اعتقادي أن الخطأ القاتل الذي وقعت فيه الفلسفة الإسلامية هو أنها قد تأثرت بالفلسفة اليونانية، وأن الفلاسفة المسلمين أخذوا عن أرسطو معظم آرائه، وأنهم اعجبوا بأفلوطين وتابعوه في عدة نواح، وللأسف يقع الدكتور محمد مدكور في الخطأ نفسه حين يقول: "ونحن أبناء القرن العشرين لا نزال عالة في كثير من المسائل على أبحاث الإغريق والرومان"، لكنه يستدرك قائلاً: "غير أنا نخطئ كل الخطأ إن ذهبنا إلى أن هذه التلمذة كانت مجرد تقليد ومحاكاة، وأن الفلسفة الإسلامية ليست إلا نسخة منقولة عن أرسطو كما زعم رينان، أو عن الأفلاطونية المحدثة، كما ادعى دوهيم، ذلك لأن الثقافة الإسلامية نفذت إليها تيارات متعددة اجتمعت فيها وتفاعلت، وفي هذا الاجتماع والتفاعل ما يولد أفكاراً جديدة، وإذا كانت قد تأثرت بالثقافة اليونانية فلم لم تتأثر بالثقافة الهندية والفارسية مثلاً؟". [2]

---

[1] عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦٠ هـ): "الفتح الرباني والفيض الرحماني"، دار الريان للتراث، بدون بيانات أخرى، ص ٥٣.

[2] الدكتور ابراهيم مدكور: "في الفلسفة الاسلامية: منهج وتطبيقه"، ط٣، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ٢٦/١. ويبين د. عبد الرحمن بدوي في مقدمة تحقيقه للنسخة العربية من منطق أرسطو أن من أهداف نشر الكتاب هو بعث التراث العربي الجيد من أجل تقديم للناس شاهد على المنزلة العالية التي بلغتها عناية العرب بالتراث اليوناني: مما هو مشاهد في الدقة الرائعة التي تتمثل في الترجمة، وفي العناية التي أحيطت بها

وأقول للدكتور مدكور:

بغض النظر، مؤقتاً، عما جرى في التاريخ، لا بد أن نقرر أن الثقافات اليونانية والفارسية والهندية القديمة كانت ثقافات مبنية على أساس الوثنية، ومتشربة لمبادئ العبودية للصنم، أما الثقافة الإسلامية فقد تأسست منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أساس التوحيد، وما يستتبع هذا المبدأ العظيم من نتائج بالغة الأهمية. ولذلك أقول: إن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه الفلسفة الإسلامية قديماً ولا تزال تقع فيه إلى الآن هو في تأثرها بالثقافات المبنية على أساس الوثنية، وخصوصاً اليونانية، وكان يتعين عليها أن تقف موقف الناقد البصير من مسألة الوثنية في هذه الحضارات وما ينبني عليها من نتائج خطيرة.[1]

هذا الخطأ هو أحد المعالجات المركزية التي يقوم بها علم الحكمة الإسلامية في محاولته رد العقل الإسلامي إلى المرجعية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وفي دعوته العقل الإنساني إلى المرجعية ذاتها.

النصوص اليونانية بحيث حرص المترجمون على أن تكون صورة طبق الأصل، فلم يكتفوا بالترجمة الواحدة بل تعاقبت الترجمات على النص الواحد مما يبين أنهم قد قطعوا أشواطاً في الترف العقلي. أرسطو: "منطق أرسطو"، حققه وقدم له د. عبد الرحمن بدوي، ط١، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٧.

[1] ولعل هذا المزج بين الثقافة الاسلامية والثقافات اليونانية والهندية والفارسية هو الذي أدى إلى مشكلات عقلية وفكرية كبيرة في الحضارة الاسلامية، كان من بينها إشكالية الفهم العقلي للنص الديني في الإسلام (القرآن والسنة)، وهو ما حاولت أن أدرسه في كتابي: "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية: دراسات منتخبة"، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

فالفلاسفة (الذين يسمون بحكماء الإسلام) أمثال الفارابي وابن سينا وجماعة إخوان الصفا ومجموعة من فلاسفة الأندلس كابن باجة وابن طفيل، قد أخذوا أفكارهم من فلسفة اليونان، وهذا ما نبه إليه الغزالي في "تهافت الفلاسفة"، وابن تيمية في "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول"، فضلاً عن كتابات كثير من المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، وبينوا أن أفكارهم غريبة عن الإسلام، وفلسفتهم عين فلسفة الفلاسفة القدماء من أهل اليونان وغيرهم. ومن ثم فهم لا يمتون إلى الفلسفة الإسلامية المبنية على أساس المذهبية الإسلامية الشاملة، إذا تم تعريف هذه الفلسفة، كما يعرفها د. محسن عبد الحميد، على أنها: "محاولة المفكرين المسلمين إيجاد مرتكزات عقلية صريحة للأدلة القرآنية على وجود الله، وتفصيل إجمالها، وتوضيحها بعمق، وإيجاد الأساس المنطقي السليم للعقائد الإسلامية الأخرى في النبوة والمعاد وأفعال الإنسان، والحديث عن حكم التشريعات العملية وتأييدها بالعقل الصريح، والتفكير المنهجي العميق في جميع مسائل الكون والحياة في إطار حقائق الإسلام العامة".[1]

ولعل هذا ما يفسر أن الغزالي قد افتتح كتابه: "تهافت الفلاسفة" ببيان المرجعية التي انطلق منها الفلاسفة في أحد مسائل الفلسفة المعقدة وهي (قدم العالم) فقال في (مسألة إبطال قولهم بقدم العالم):

"اختلفت الفلاسفة في قدم العالم. فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين القول بقدمه وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومسوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري

[1] د. محسن عبد الحميد: "الفكر الاسلامي: تقويمه وتجديده"، ص ٩٨ – ٩٩.

عليه كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان. وحكي عن أفلاطن أنه قال: العالم مكون ومحدث. ثم منهم من أوّل كلامه وأبى أن يكون حدث العالم معتقداً له. وذهب جالينوس في آخر عمره في الكتاب الذي سماه "ما يعتقده جالينوس رأياً" إلى التوقف في هذه المسألة. وأنه لا يدري العالم قديم أو محدث. وربما دل على أنه لا يمكن أن يعرف وأن ذلك ليس لقصور فيه بل لاستعصاء هذه المسألة في نفسها على العقول، ولكن هذا كالشاذ في مذهبهم وإنما مذهب جميعهم أنه قديم وأنه بالجملة لا يتصور أن يصدر حادث من قديم بغير واسطة أصلاً".[1]

ويقول ابن تيمية في كتابه: "بغية المرتاد":

"فإذا وجد مثل ذلك في كلام واحد من هؤلاء علم أنه احتذى حذوهم لئلا يغتر بذلك من قد ينازع في ذلك أو يرتاب فيه أو لا يخطر بقلبه لحسن ظنه بمن يتكلم بالعبارات الإسلامية النبوية أنه لا يريد بها ما يعنيه هؤلاء المتفلسفة وما أحسن ما قال شيخ الإسلام الهروي فيمن هو أحسن حالا من هؤلاء من أهل الكلام قال: "أخذوا مخ الفلسفة فلبسوه لحاء السنة". وبسبب هذا ضل طوائف ممن لم ينكشف لهم حقيقة مقاصد الناس فلا يفهمون ما يقصده الأنبياء والرسل ولا ما يقصده هؤلاء حتى يقابلوا بين هذه المعاني وتلك فيعلمون هل هي متفقة متشابهة أم مختلفة بل متضادة بل قد يحرفون كلام أئمتهم إذا ظهر المسلمون فيصرفونه إلى ما يقبله المسلمون وكذلك ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والهاتكون لأستارهم كالقاضي أبي بكر الطيب والقاضي أبي يعلى وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة من أنهم وضعوا لأنفسهم

[1] الغزالي: "تهافت الفلاسفة"، ص ٨٨ – ٨٩.

اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي يعنون به العقل والنفس. ويقولون: هو اللوح والقلم. وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين."[1]

معرفة الله سبحانه الرد الذي تقدمه الحكمة الإسلامية على الوثنية في الفلسفة عبر العصور، وعلى العقائد الجاهلية السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام والتي كانت تعج بالأرباب المختلفة، بوصفهم أرباباً صغاراً تقوم إلى جانب كبير الآلهة كما يزعمون! فإطلاق الربوبية، مثلاً في سورة الفاتحة، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً، هي مفترق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة. لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تعترف له بالسيادة المطلقة، وتبتعد عن زحمة الأرباب المتفرقة، ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة. وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبداً ولا تفتر ولا تغيب، لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطو مثلاً يقول بأن الله أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به، لأن الله أرقى من أن يفكر فيما هو دونه! فهو لا يفكر إلا في ذاته! وأرسطو- وهذا تصوره- هو أكبر الفلاسفة، وعقله هو أكبر العقول، كما زعم! لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار، والتي يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة.. والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يتخبط في الظلمات والظنون، ولا يستقر فيها على يقين. وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور، هو

[1] ابن تيمية: " بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية"، تحقيق موسى الدويش، ط٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ١٩٣ – ١٩٤.

ذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها، وصفاته وعلاقته بخلائقه، ونوع الصلة بين الله والإنسان خصوصاً. ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون، وفي أمر نفسه وفي منهج حياته، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم في وسط هذا العماء والتيه والركام الثقيل. ولا يدرك الإنسان ضرورة هذا الاستقرار حتى يطلع على ضخامة هذا الركام، وحتى ينصرف عن هذا التيه من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار التي جاء الإسلام فوجدها قد جثمت على الضمير البشري. ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة، وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته، وعلاقته بالخلائق، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين. وكان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل، الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام، وظل يجلوها في الضمير، حول حقيقة التوحيد، حتى يخلصها من كل غبش. ويدعها مكينة راكزة لا يتطرق إليها وهم في صورة من الصور.. كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات الله وبخاصة ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة. فقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه الفلسفات والعقائد كما تخبط فيه الأوهام والأساطير.. مما يتعلق بهذا الأمر الخطير، العظيم الأثر في الضمير الإنساني. وفي السلوك البشري سواء. [1]

وهذا ما يجعلنا نقول أن ابن رشد قد اخطأ خطأ جسيماً حين قال في مقدمة كتابه: "فصل المقال":

[1] سيد قطب: "في ظلال القرآن" ، ١٤١٢ هـ، ٢٣/١.

"فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع، إذ، كان مغزاهم كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه، وأن من نهى عن النظر فيها من كأن أهلاً للنظر فيها، وهو الذي جمع أمرين أحدهما ذكاء الفطرة، والثاني العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله!!، و باب النظر، المؤدي إلى معرفته حق المعرفة. وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى."[1]

فقد لاحظنا فيما سبق أن فكر اليونان القديم قد تأسس على المرجعية الوثنية، أما الفكر الإسلامي فقد تأسس على مرجعية التوحيد، ومن ثم صار القرآن الكريم والسنة النبوية هما المرجع للنظر والتأمل والتفكر عند المسلمين.

ولذلك، فالمعرفة بالله سبحانه هي أساس الحكمة الإسلامية، وهي خلاصة العلم، ومنها تنطلق النظرة إلى كل مسائل الوجود، وليس كما اعتقد الماديون أن النظرية المادية في المعرفة تبدأ إذن بالضرورة لا بالمعرفة ذاتها، بل هي تبدأ بالواقع المادي الذي هو انعكاس له. ومادية العالم هي الأساس لإمكانية معرفته تمام المعرفة. وأن صراع الأضداد هو صراع بين القديم والجديد، وأن هذه الحركة هي مرة واحدة مستمرة ومنقطعة، وأن التراكم التدريجي للتبدلات الكمية يؤدي إلى قفز كيفي.[2]

---

[1] ابن رشد (ت ٥٩٥هـ): "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط٢، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٢٩.

[2] روجيه غارودي: "النظرية المادية في المعرفة"، تعريب ابراهيم قريط، دار دمشق، دمشق، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٥٥. وعن المادية ، تابع:

ومع إن ليبنتز قد وصل في المحاورات التي تضمنها كتابه: "أبحاث في الفهم الإنساني" إلى أن الله سبحانه قد منح أرواحنا الملكات التي تتزين بها، وهو لم يترك نفسه بدون شهادة، لأن الحواس والذهن والذكاء كلها تمدنا بأدلة واضحة عن وجوده. وأنه سبحانه لم يعط الروح والملكات القادرة على المعرفة فقط، وإنما طبع فيها أيضاً خصائص تميزها، وإن احتاجت لملكات تدرك بها هذه الخصائص.[1]

أي إن ليبنتز قد أكد على دور الحواس والذهن والذكاء في التدليل على وجود الله سبحانه، ودور العقل في الوصول إلى الأدلة المفضية إلى إثبات وجود الله سبحانه هو ما أكد عليه القرآن الكريم مراراً، فمن ذلك قول الله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة : ١٦٤].

يقول الفخر الرازي بعد تفسير طويل للآية:

Pierre-François Moreau, Ann Thomson, Eds., Matérialisme et passions (Lyons: ENS Éditions, 2004); Andrew Milner, Cultural Materialism (London: University College London Press, 1993); Annette Wittkau-Horgby, Materialismus: Entstehung Und Wirkung in Den Wissenschaften Des 19. Jahrhunderts (Göttingen: Vandenhoeck, 1998); Wilhelm Reich, Materialismo Dialéctico y Psicoanálisis (México: Primera Edición, 1989).

[1] ليبنتز: "أبحاث جديدة في الفهم الانساني"، "نظرية المعرفة": تقديم وترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٢٣٦. ولمزيد من المعلومات عن ليبنتز وفلسفته، انظر:

Leibniz, Political Writings, edited by Patrick Riley (Cambridge: Cambridge University Press, 2001); Leibnitz, Philosophical Papers and Letters, A Selection Translated and Edited, with an Introduction by Leroy E. Loemker (Dordrecht: Kluwer, 1989).

أَمَّا قَوْلُهُ تعالى: { لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } فَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ: لَآياتٍ لَفْظُ جَمْعٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى الْكُلِّ، أَيْ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ آيَاتٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا تَقَدَّمَ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرْنَا آيَاتٍ وَأَدِلَّةً.

ويقرر الرازي ذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: إن كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّمَانِيَةِ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَى مَدْلُولَاتٍ كَثِيرَةٍ فَهِيَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً ثُمَّ وُجِدَتْ دَلَّتْ عَلَى وُجُودِ الْمُؤَثِّرِ وَعَلَى كَوْنِهِ قَادِرًا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُؤَثِّرُ مُوجِبًا لَدَامَ الْأَثَرُ بِدَوَامِهِ، فَمَا كَانَ يَحْصُلُ التَّغَيُّرُ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ دَلَّتْ عَلَى عِلْمِ الصَّانِعِ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ حُدُوثَهَا قد اخْتَصَّ بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ دَلَّتْ عَلَى إِرَادَةِ الصَّانِعِ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِ الِاتِّسَاقِ وَالِانْتِظَامِ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِ الْفَسَادِ فِيهَا دَلَّتْ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الصَّانِعِ، عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٢].

وَثَالِثُهَا: أَنَّهَا كَمَا تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ فَكَذَلِكَ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَيْنَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ عَقْلًا لِأَنَّ كَثْرَةَ النِّعَمِ تُوجِبُ الإخلاص فِي الشُّكْرِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الثَّمَانِيَةِ أَجْسَامٌ عَظِيمَةٌ فَهِيَ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْأَجْزَاءِ الَّتِي لَا تَتَجَزَّأُ فَذَلِكَ الْجُزْءُ الَّذِي يَتَقَاصَرُ الْحِسُّ وَالْوَهْمُ وَالْخَيَالُ عَنْ إِدْرَاكِهِ قَدْ حَصَلَ فِيهِ جَمِيعُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ.[1]

لكن ليبنتز من جهة أخرى لم يؤكد على دور النبوة والوحي في الوصول إلى الله سبحانه، وقد بيّنا مسبقاً أهمية وأثر النبوة والأنبياء في هذا السياق.

وهكذا، يتعين علينا أن نهب أنفسنا لله سبحانه، قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) } [الذاريات : ٥٦] وبهذه العبودية لله سبحانه يمكن أن نصل إلى الحكم الصحيح، وليس كما قال أرسطو: "أن الفلسفة وحدها تنطوي على الحكم الصحيح والتبصر المعصوم (من الخطأ) الذي يملك القدرة على تحديد ما ينبغي علينا أن نأتي من الأفعال وأن ندع".[2]

وبهذه الطريقة، أي منهاج العبودية الخالصة لله سبحانه، نقترح إعادة النظر في مفهوم الفلسفة، وليس كما ذهب بيير بورديو من أن فلسفة الفعل وتسمى أحياناً استعدادية تأخذ بعين الاعتبار الإمكانات المحتملة المسجلة في أجساد الفاعلين وفي بنية الظروف التي يعمل بها الفاعلون أو التي يقيمون فيها علاقاتهم. وهي توجد مكثفة في عدد قليل من المفاهيم الأساسية هي السيماء والحقل والرأسمال وحجر الزاوية فيها

[1] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٣٧/٤.

[2] أرسطو: "دعوة للفلسفة (بروتر يبتيقوس):" كتاب مفقود لأرسطو، قدمه للعربية مع تعليقات وشروح د. عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية للعامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ٣٣.

العلاقة ذات الاتجاه المزدوج بين البنيات الموضوعية (بنيات الحقول الاجتماعية) وبين بنيات الداخلين إلى الحقول (بنيات السيماء). هذه الفلسفة تتعارض جذرياً مع الافتراضات الانثروبولوجية المسجلة في لغة الفاعلين بصورة عامة لكي يفهموا الممارسة، وتتعارض أيضاً مع الأطروحات الأكثر تطرفاً بين بعض البنيويين برفضها (أي الفلسفة) اختزال الفاعلين إلى مجرد عوارض في البنية وتعدهم نشيطين ومحركين دون أن تجعل منهم ذاتاً بالضرورة.[١]

وبذلك تصبح الفلسفة وفقاً لإعادة النظر ضمن الأسباب العملية التي حددها بورديو غارقة في الأسباب العملية ذاتها بدون أن تحركها أو تدفعها دوافع روحية، وهنا يصبح الإنسان ببعد واحد فقط، متمثل بالأسباب العملية وحدها، ومن هنا يصبح عرضة للغرق والتلاشي.

أما علم الحكمة الإسلامية فهو يفكر بالأبعاد كلها النظرية والعملية، الدينية والدنيوية، الأخلاقية والقيمية، الزمنية والروحية، من خلال إعطاء كل بعد من هذه الابعاد ما يستحق من قيمة حقيقة، ويتم هذا التقييم استناداً إلى مبادئ الوحي نفسه.

ولنتأمل هذه النظرة الشاملة وهذا التوازن العميق البعيد في قول الله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا (٧٧) } [القصص: ٧٧].

[١] بيار بورديو: "أسباب عملية: إعادة النظر في الفلسفة"، ط١، دار الأزمنة الحديثة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦.

وعن بورديو وفكره تابع:

Pierre Bourdieu, Masculine Domination (Stanford: Stanford University Press, 2001); P. Bourdieu, Photography: A Middle-brow Art (Stanford: Stanford University Press, 1990).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " أي اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثواب في الدنيا والآخرة وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا أَيْ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ".[1]

وهذه الآية تمثل أيضاً اعتدال المنهج الإلهي القويم الذي يعلق قلب حائز المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر لله سبحانه، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.[2]

[1] ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ، ٢٢٨/٦.

[2] سيد قطب: "في ظلال القرآن"، ٢٧١١/٥.

وعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟» ، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». [1]

وفي مثل سياق التوازن المذكور لنتأمل أيضاً في قوله تعالى: { فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) } [البقرة : ٢٠٠ – ٢٠٢].

يطلب علم الحكمة الإسلامية من العقل الإنساني أن يستظل بظل الشرع في التفكير بكل القضايا التي تعترضه، وأن يحاول إيجاد الحلول لكل المشكلات من خلال المفاهيم التي يطرحها الوحي (القرآن والسنة).

يقول الغزالي عن طريقة الذين جمعوا بين الشرع والعقل:

[1] صحيح البخاري، ٩٦/٤.

" واطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول؛ وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول. وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد، واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وإن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط. بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم؛ فكلا طرفي قصد الأمور ذميم".[1]

"وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟ فليت شعري كيف يفزع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر؟ أو لا يعلم أن العقل قاصر وأن مجاله ضيق منحصر؟ هيهات قد خاب على القطع والبتات وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات. فمثال العقل البصر السليم عن الآفات والاذاء. ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء. المستغني إذا استغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور،

[1] الغزالي: "الاقتصاد في الاعتقاد"، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، ص ٩.

والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدل بحبل غرور. وسيتضح لك أيها المشوق إلى الاطلاع على قواعد عقائد أهل السنة، المقترح تحقيقها بقواطع الأدلة، أنه لم يستأثر بالتوفيق للجمع بين الشرع والتحقيق فريق سوى هذا الفريق".[1]

[1] الغزالي: "الاقتصاد في الاعتقاد"، ص ١٠.

المبحث الثاني

أفول الوثنية.. نحو رؤية توحيدية للتاريخ

الحكمة الإسلامية ممثلة بالدين الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء منذ آدم أبي البشر عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت من أجل الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله سبحانه وطاعة الأنبياء ورفض عبادة ما سوى الله عز وجل، وما يرتبط بهذه الحكمة العظيمة من مسائل اجتماعية وسياسية واقتصادية وأخلاقية وقيمية وجمالية، وهذا المعيار هو القول الفصل في عملية المراجعة النقدية للتاريخ.

وبهذا، فالحكمة الإسلامية عبر التاريخ، كانت بالتأكيد تقف موقف الضد من أي دعوة وثنية أو تأليهية لما سوى الله سبحانه.

يبين ابن تيمية حال الناس قبل الإسلام فيشير أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه. والناس حينها: إما كتابي مستمسك بكتاب: إما مبدل، وإما مبدل منسوخ ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإمّا أميّ من عرب أو عجم، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك. والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علماً وهي جهل، وأعمال

يحسبونها صلاحاً وهي فساد. وغاية البارع منهم علماً وعملاً، أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، قد اشتبه عليهم الحق فيه بالباطل. أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلا، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل - إن وصل - بعد الجهد الذي لا يوصف، إلى نزر قليل مضطرب، لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي، باطله أضعاف حقه - إن حصل - وأنَّى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه، والأسباب؟ فهدى الله سبحانه الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علماً وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى.[1]

وعن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة فإنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جرآء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال

[1] ابن تيمية: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١/ ٧٤ - ٧٥.

أنا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال أرسلني الله. فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء. فقلت له: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد. قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال فقلت: إني متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فائتني. قال فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة. فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت يا رسول الله، أتعرفني قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة. قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث رواه مسلم.[1]

وبالتالي، فالحكمة الإسلامية ترفض الأسطورة القائلة بأن (آثوم) كان الخالق؛ وان ولديه الأكبرين كانا (شو) و(تفنوت)، الهواء والرطوبة، وان ولديهما (جب) و(نوت)، الأرض والسماء؛ وان أولاد هؤلاء كانوا الآلهة الأربعة في حولية اوزيرس التي يقرن فيها

[1] "اقتضاء الصراط المستقيم"، ١/ ٢١٨، وانظر: صحيح مسلم، باب: اسلام عمرو بن عبسة، ١/ ٥٦٩.

المجتمع (إذ كان اوزيرس الملك الميت والإله معاً) بالقوى الكونية، كما كان الاعتقاد سائداً في مصر القديمة. فزعموا أن المياه الأولى كانت مأوى ثمانية مخلوقات غريبة، أربع ضفادع، وأربع أفاع، إناثاً وذكوراً، ولدت (آتوم) الإله الشمس والخالق. وهذه الثمانية، هذه ال (اغدواد)، لم تكن جزءاً من النظام المخلوق، بل من الهيولى نفسها، كما يدل اسمها. فكان الزوج الأول (نون) و(ناو وِنت)، وهما (البحر) الأول العديم الشكل و(المادة الأولى). وكان الزوج الثاني (حوح) و(حاوحِت)، وهما (اللامحدود) و(اللامتناهي). والثالث (كوك) و(كاوكِت) (الظلام) و(العتمة)، والرابع: (آمون)، و(آمونت)، (الخفي) و(المحجوب)، ولعلهما الريح. ومثل هذا الموقف تتخذه الحكمة الإسلامية مما كان شائعاً في أرض بابل، إذ لا ترى الهيولى ك(أغدواد) صديقاً متعاوناً يلد الخالق، الشمس بل كعدو للنظام والحياة. فبعد أن ولدت الأم الكبرى (تعامَت) مواليد لا يعدون، من ضمنهم الآلهة، أثار هؤلاء الحرب الحاسمة بإرشاد من مردوك تغلبوا فيها على (تعامَت) وقضوا عليها. ومنها بني الكون الموجود، وهكذا فقد جعل البابليون ذلك الصراع كامناً في أساس الوجود.[1]

إذاً فقد تصور البابليون والمصريون القدماء أن الآلهة يلد بعضها بعضاً[2]، أما الحكمة الإسلامية فقد أكدت أن الله سبحانه لم يلد ولم يولد. قال تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ

[1] هـ. فرانفكورت، هـ. ا. فرانكفورت، جون ا. ولسن، توركليد جاكبسون: "ما قبل الفلسفة: الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى"، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢١ – ٢٢.

[2] عن المعتقدات البابلية والمصرية القديمة، انظر:

أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) } [الإخلاص: ١-٤].

وفي الأساطير السومرية، تم تصور إلهة – أم، ولدت جميع الآلهة، آلهة السماء وآلهة العالم السفلي. إنها الإلهة – الأم مامي في قصيدة الصراع بين نينورتا والطائر أنزو، التي لقبت بسيدة جميع الآلهة، وهي التي أعلنت:

"أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي

أنا التي خلقتهم بكاملهم،

هم ومجموعة الأنوناكي، الآلهة – العظام،

وأنا التي منحت السيادة لإنليل أخي،

وعينت لأن سلطته العليا في السماء. [١]

وفي المتن السومري عن الأحداث نفسها، نرى أن أم الآلهة ماخ، أي مامي الفائقة السمو، ونينورتا هو نينجيرسو:

Leonard William King, Babylonian Religion and Mythology (London: Kegan Paul, Trench, Trübner, 1903); Morris Jastrow, Aspects of Religious Belief and Assyria (New York and London: G. P. Putnam's Sons, 1911); Henri Frankfurt, Ancient Egypt Religion: An Interpretation (New York: Dover Publications, 2000); Byron Esely Shafer, John D Baines, Leonard H. Lesko, David P. Silverman

Religion in Ancient Egypt: Gods, Myths and Personal Practice (New York: Cornell University Press, 1991).

[١] ديوان الأساطير: سومر وآكاد وآشور، الكتاب الثاني: الآلهة والبشر، نقله إلى العربية وعلّق عليه قاسم الشواف، قدّم له وأشرف عليه أدونيس، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢١.

"أمام الإلهين آنو وداجان

أثار آلهة الأرض مجتمعين

قضية سلطاتهم الإلهية

إذن فلتعلم بأنني، أنا ماميّ

ولدت الإيجيجو كلهم:

[لذلك سوف أقاتل (؟)]

ضد عدو الآلهة!

أنا هي التي منحت السيادة

لإنليل أخي وكذلك لآنو

[فمن الآن فصاعداً (؟)] هذه السيادة

التي عيّنتها لهما شخصياً

سوف أنقلها (؟) إليك [...]

ولكن عليك أولاً، تحويل [هذه الكارثة]

إلى نصر.

أعد البهجة إلى قلوب الآلهة الذي خلقتهم

أدخل معه في معركة نهائية...".[١]

وهكذا نرى الأساطير السومرية تصوّر آلهة تتصارع فيما بينها، إلى أن تصل إلى المعركة النهائية، لتنتهي بإعلان انتصار أحد الآلهة على الآخرين.[٢]

صور تصارع الآلهة يمكن أن نلحظها أيضاً في النصوص الملحمية البابلية القديمة، مثل "جلجامش وآكا" و"الكاهن وأنميركار" أو في النصوص الأكثر حداثة، مثل: "عندما في الأعالي"، و(اتراحسيس) و(جلجامش). في جميع هذه النصوص يبقى دور مجمع الآلهة في عملية اتخاذ القرارات المهمة مبهماً. ففي الصورة التي رسمها الأديب البابلي عن اجتماع الآلهة والذي اتخذ فيه قرار خلق الإنسان وذلك من أجل أن يقوم بتنفيذ الأعمال الشاقة التي كانت من نصيب الآلهة، وكما ورد ذلك في ملحمة اتراحسيس:

حين كان الآلهة كالبشر

---

[١] قاسم الشواف: نفسه، ص ٢٢.

[٢] لمتابعة المزيد عن الاساطير السومرية، انظر:

Samuel Noah Kramer, the Sumerians: Their History, Culture and Character (London: The University of Chicago Press, 1963); S. N. Kramer, From the Poetry of Sumer: Creation, Glorification, Adoration (Berkeley, Los Angeles, London: University of California Press, 1979); Diane Wolkstein and S. N. Kramer, Inanna: Queen of Heaven and Earth, Her Stories and Hymens from Sumer (New York: Harper & Row Publishers, Inc., 1983); S. N. Kramer, Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C. (Pennsylvania: Pennsylvania University Press, 1972); Wolfgang Heimpel, Tierbilder In Der Sumerischen Literatur (Rom: Gregorian Biblical BookShop, 1968).

عملوا، وشقوا، وتحملوا الأعباء

عظيماً كان عبء الآلهة

العمل شاق والنوالب كثيرة

سبعة من الأنوناكي العظام

أرغموا الأيجيجي على العمل

ولكن الآلهة الإيجيجي غضبوا وثاروا بعد أن أضناهم العمل الشاق: "رموا أسلحتهم في النار"، وتجمعوا أمام معبد أنليل، إله الأرض. اضطرب إنليل، وهرع مستنجداً بملك الآلهة آنو، طالباً حضور نينوترا وأنوجي ونينتا. بعدها جرت مفاوضات بين انليل والمتمردين، عن طريق وزيره نوسكو، عرض نوسكو مطالب الإيجي على الآلهة الأنوناكي. وفي هذا الاجتماع الذي ترأسه انليل وآنو قرر نينتو وآنكي خلق الإنسان. لكن لابد، حسب قول آنكي، من قتل أحد الآلهة لتبرئة الآخرين، ومزج دم القتيل بالطين:

في الاجتماع قالوا: "فليكن هكذا،

الأنوناكي العظام، مسيرو الأقدار

في اليوم الأول، والسابع، والخامس عشر،

انتهوا من غسل انكي

وفي اجتماعهم هذا قرروا

قتل الإله اويل، ذي العقل...[1]

التصارع الناتج عن تعدد الآلهة هو الذي تحدث عنه القرآن الكريم، نافياً تعدد الآلهة، لأن القول به يفضي بالضرورة إلى الصراع والفساد. قال تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) } [الأنبياء : ٢٢].

فقد نبّه تعالى الخلق على أنه واحد باتساق أفعاله وترتيبها، وأنه تعالى لا شريك له فيها بقوله: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } [الأنبياء: ٢٢]، ووجه الفساد بذلك، لو كان إلهان ما استقر أمرهما على نظام أو إحكام، وكان لابد أن يلحقهما العجز، أو يلحق أحدهما عند التمانع في الأفعال، والقدرة عليه. وسببه "أن كل واحد منهما لا يخلو أن يكون قادراً على ما يقدر عليه الآخر على طريق البدل من (فعل) الآخر، أو لا يكون كل واحد منهما قادراً على ذلك (فإن "كان" كل واحد منها قادراً على فعل ما يقدر عليه الآخر على طريق البدل من بدل الآخر، أو لا يكون كل واحد منهما قادراً على ذلك)، فإن كان واحد منهما قادراً على فعل ما يقدر عليه الآخر بدلاً منه لم يصح أن يفعل كل واحد منهما ما يقدر عليه الآخر إلا بترك الآخر له، وإذا كان كل واحد منهما لا يفعل إلا بترك الآخر له جاز أن يمنع كل واحد منهما صاحبه من ذلك، ومن يجوز أن يُمنع ولا يفعل إلا بترك غيره له فهو مدبَّر عاجز، وإن كان كل واحد منهما لا يقدر فعل مثل مقدور الآخر بدلاً منه وجب عجزهما وحدوث قدرتهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا رباً".[2]

[1] كلشكوف: "الحياة الروحية في بابل: الإنسان– المصير– الزمن"، ترجمة عدنان عاكف حمودي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا – بيروت، ١٩٩٥ م، ص ٣٨ – ٣٩.

[2] أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ): "رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب"، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ، ص ٨٩ – ٩٠.

ودلالة العقل أنه لو كان أكثر من واحد لكان احتمال وجود العالم بالاصطلاح، وفي ذلك فساد للربوبية. ومعنى آخر أن كل شيء يريد أي واحد ممن ينسب إليه أن يثبته يريد الآخر أن ينفيه، وما يريد أحدهما إيجاده يريد الآخر إعدامه، ومثل ذلك الأمر فِي الإفناء والإبقاء، وفي ذلك تناقض وتخالف، فبذلك دل الوجود على محدث العالم واحد تدبيره. وهذا هو الأمر المعتاد بين الملوك بأن يبذل أحدهم وسعه فِي قهر أشكالهم ليكون الملك للقاهر ومنع كل منهم غيره عَن إنفاذ حكمه وإظهار سلطانه ما استطاع، فإذ لم يكن بل نفذ سلطان العزيز الحكيم ثبت أنه الواحد وهذا تأويل قوله { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }.[1]

وهكذا: "إن خالق العالم واحد لأنه لو كان اثنين ولم يقدر أَحدهما على كتمان شيء من صاحبه كانت قدرتهما ناقصة متناهية وأن قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كان علم كل واحد منهما ناقصاً متناهيا ومن كان علمه أَو قدرته متناهياً ناقصاً لم يكن إلهاً صانعاً بل كان مخلوقاً مصنوعاً وقد نبّه الله على هذه الدلالة بقوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }".[2]

---

[1] أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ): "التوحيد"، تحقيق د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، ص ٢٠.

[2] الاسفراييني (ت ٤٧١ هـ): "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١،عالم الكتب – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ١٥٥– ١٥٦.

وانظر للتوسع فيما سماه المسلمون (بدليل التمانع) المستنبط من الآية الكريمة نفسها ما يأتي: إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ): "لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة"، تحقيق فوقية حسين محمود، ط٢، عالم الكتب – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص ٩٩، عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري (ت ٤٧٨هـ): "المغني للإمام المتولي"، تحقيق وتقديم: مارى برنان، المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية ؛ العدد

و نكتشف ما تقدم في قوله تعالى: { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة:٣]، هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه. وبين الخالق ومخلوقاته.. إنها صلة الرحمة والرعاية التي تتطلب الحمد والثناء. إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية. إن الرب الإله في الإسلام

رقم ٧)، ص٩٩، الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): "الاقتصاد في الاعتقاد"، ص ٥٠، الغزالي: "قواعد العقائد"، ص ١٣٧، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ): "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار" تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٣٣٠/٢، ٤٣٩، ابن الحاج القناوي (ت ٥٩٨هـ): "حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر"، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٥، ص ٣١، الذهبي (ت ٧٤٨هـ): "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، تحقيق محب الدين الخطيب، بدون بيانات أخرى، ١٥٠/١، الإيجي (ت ٧٥٦هـ): "كتاب المواقف"، عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل – لبنان – بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ١٥٦/١، اليافعي (ت ٧٦٨هـ): "مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة"، تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار دار الجيل – لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ٥٦، لكن الطحاوي يرى أن الأمر ليس كما فكرّ به أهل النظر لأن الآية تشير إلى توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ينظر: ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ): "شرح العقيدة الطحاوية"، تحقيق أحمد شاكر، ط١، وزارة الشؤون الاسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ، ص٣١، ٣٩، ونسخة أخرى، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، ط١، الطبعة المصرية الأولى، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الاسلامي)، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٨١، ونسخة ثالثة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، التفتازاني: "شرح المقاصد في علم الكلام"، ط١، دار المعارف النعمانية – باكستان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٦٣/٢، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (ت ١٣٢٧هـ): "توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم"، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، المكتب الاسلامي – بيروت، ١٤٠٦، ٣٦٥/١، ٣٦٨.

لا يطارد عباده مطاردة الخصوم والأعداء كآلهة الأولمب في نزواتها وثوراتها كما تصورها أساطير الإغريق، ولا يدبر لهم المكائد الانتقامية كما جاء في «العهد القديم» كالذي جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين.[1]

ولا بد من الإشارة إلى أن القصص القرآني يشتمل على جملة من المبادئ الأساسية لإعادة النظر بالتاريخ والتفكير به بشكل اعتباري ونقدي، فالحكمة في قصص القرآن، كما يرى د. عبد الكريم زيدان، أولاً – أن نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار ومعان وحقائق وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل، وأن نعتبر به، ثانياً – في قصص القرآن بيان لسنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد، وهي سنن جرت على الماضين وتجري على اللاحقين ليعتبر بها المؤمنون، ثالثاً – وفي القصص القرآني بيان لمناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله سبحانه والتزامهم بها وصبرهم عليها، رابعاً – وفيها نماذج من المؤمنين الصابرين الثابتين على الحق وبيان سلوكهم مع الكفرة الفاجرين المجرمين الذين ناصبوهم العداء، خامساً – وفيها بيان لغرائز الانسان وما جبل الله عليه من صفات ومن أنواع هذه الغرائز، وسادساً - فيها بيان لأحوال الإنسان وطغيانه بسبب المال والسلطان، سابعاً – وفيها حقائق علمية تتعلق بهذا الكون بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وأرض ونجوم وسماء.[2]

[1] سيد قطب: "في ظلال القرآن"، ١/٢٤.

[2] د. عبد الكريم زيدان: "المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١/ ٦ – ٨.

إذن هذا هو جوهر حركة التاريخ، صراع بين أتباع الله سبحانه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وبين أتباع الشيطان وحزبه، وكل ما في التاريخ صراع بين الحق والباطل.

وبهذه الطريقة ينظر علم الحكمة الإسلامية نظرة نقدية إلى هيجل حول تاريخ الفلسفة، فما يمثله هذا التاريخ بالنسبة لهيجل هو توالي النفوس الشريفة، معرض أبطال العقل الذي يفتكر، الأبطال الذين تغلغلوا، بفضل هذا العقل، في جوهر الأشياء، في الطبيعة والروح، في جوهر الله (تعالى الله علواً كبيراً عما يقول هيجل)، وأقاموا لأجلنا الكنز الأعظم، كنز المعرفة العقلانية. إن الحوادث والأفعال في هذا التاريخ تكون، على أثر نوع يجعل مادته وقيمته متمايزين عن الشخصية والطابع الفردي، وحتى إن نتاجات هذا التاريخ تكون أعظم أثراً بحيث لا يمكن عزوها إلى القدر الخاص، وبحيث لا يمكن إسناد استحقاقها إليه، وإنها في المقابل تتوقف أكثر على الفكر الحر، على السمة العامة للإنسان بوصفه إنساناً، وإن هذا الفكر المحروم من خصوصية الذات، أي الفاعل المنتج.[1]

إن كنز العقل الواعي، يضيف هيجل، يعود إلى الحقبة المعاصرة لم ينتج على نحو فوري، لم يخرج من تربة الزمن الحاضر، لكنه بالنسبة إليه إرث جوهري، وهو بشكل أدق محصلة عمل، وهو في حقيقة القول عمل كل الأجيال السالفة من الجنس البشري. وكما أن فنون الحياة الخارجية، كمية الوسائل والأساليب المتقنة، ومقومات عادات

[1] هيجل: "محاضرات في تاريخ الفلسفة: مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها"، ط١، ترجمة د. خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ص ٢٠.

الحياة الاجتماعية والسياسية هي محصلة التفكير والحاجات والابتكار، الضرورة والشقاء، الإرادة وتحقيق التاريخ الذي سبق عصرنا، فإن ما نحن عليه واقعاً في العلم وبشكل أخص في الفلسفة إنما ندين به إلى التراث الذي يسقط كل ما هو عابر وبالتالي هو ماض، ويشبه سلسلة مقدسة كما سماه هردر، والذي احتفظ لنا ونقل كل ما أبدعه الزمن الماضي.[١]

علم الحكمة الإسلامية يرفض رفضاً قاطعاً ما قاله هيجل في كتابه: "حياة يسوع"، إذ قال: "العقل الخالص المتجاوز كل حد، هو الألوهة بذاتها: فتصميم العالم قد انتظم أساساً بحسب هذا العقل. وهو الذي يدرب هذا الإنسان على معرفة مصيره والهدف المطلق لحياته. والحق أن الظلمة غالباً ما اكتنفته، دون أن تتكمن من إخماده تماماً، فحفظ منه، حتى في الظلمات بصيص من نور".[٢]

لأن الله سبحانه لا يماثله شيء، قال الله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى:١١]، ولكن الذي حصل في التاريخ وما يحصل في جوهره هو صراع بين الحق والباطل، بين من بعد الله سبحانه وحده، ومن عبد الطاغوت.

وهذا هو جوهر النقد الذي يقدمه علم الحكمة الإسلامية لفلسفة التاريخ عند هيجل، كما يشرحها هربرت ماركوز، أن فلسفة التاريخ تعرض المضمون التاريخي للعقل، أو أن مضمون العقل هنا هو نفسه مضمون التاريخ، وإن كان هذا المصطلح لا يعني الوقائع التاريخية المتباينة، بل يقصد به ما يجعل التاريخ كلاً عقلياً، والقوانين

[١] هيجل: "محاضرات في تاريخ الفلسفة"، ص ٢٠ – ٢١.
[٢] هيجل: "حياة يسوع"، ترجمة جرجي يعقوب، دار التنوير، بيروت، ص ٤٧.

والاتجاهات التي تشير إليها الوقائع وتتلقى منها معناها. العقل سيد التاريخ هو الفرض الوحيد للتاريخ، من وجهة نظر هيجل، وهذا ما يميز الطريقة الفلسفية في بحث التاريخ من أية طريقة أخرى، لا يعني أن للتاريخ غائية محددة. فالطابع الغائي للتاريخ لا يمكن إلا أن يكون استنتاجاً من دراسة تجريبية للتاريخ، ولا يمكن أن يفترض قبلياً. إن من الواجب البرهنة على قوانين التاريخ في الوقائع ومنها – وإلى هذا الحد يكون المنهج تجريبياً. ولكن هذه القوانين لا يمكن أن تعرف ما لم تكن نظرية صحيحة توجه البحث أولاً. فالوقائع لا تكشف بذاتها شيئاً، وإنما تقتصر على الإجابة عن أسئلة نظرية ملائمة. والموضوعية العلمية الحقيقية تقتضي تطبيق مقولات سليمة تنظم المعطيات في دلالاتها الفعلية، لا تلقي الوقائع المعطاة سلباً.[1]

يتجلى صراع الحق والباطل في التاريخ، وهو جوهر نظرة علم الحكمة الإسلامية للتاريخ، في الحكمة الإبراهيمية، أي في موقف سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام المضاد للشرك والوثنية وعبادة الأوثان في عصره، وموقفه المضاد للنمرود أحد أبرز طواغيت التاريخ.

نقل الطبري في تاريخه:

حدثت عن هشام بن محمد، قال: "بلغنا والله أعلم أن الضحاك هو نمرود، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه".

[1] هربرت ماركيوز: "العقل والثورة: هيجل والنظرية الاجتماعية"، الهيئة المصرية العامة للتالفي والنشر، مصر، ١٩٧٠م، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

ونقل الطبري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- وَعَنْ مُرَّةَ الهمداني عن ابن مسعود- وعن ناس من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوَّلَ مَلِكٍ مَلَكَ فِي الأَرْضِ شَرْقَهَا وغربها نمرود بن كنعان ابن كُوشَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، وَكَانَتِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا الأَرْضَ كُلَّهَا أَرْبَعَةً:

نَمْرُودُ، وَسُلَيْمَانُ بن داود، وذو القرنين، وبختنصر: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ".

ونقل أيضاً عَنْ ابن إسحاق: "فلما أراد الله عز وجل أن يبعث ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليه السلام من نبي قبله إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله تعالى ذكره ما أراد، أتى أصحاب النجوم نمرود، فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم، يفارق دينكم، ويكسر أوثانكم، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته، فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت جارية- حدثه فيما يذكر- لم يعرف الحبل في بطنها، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبا منها، فولدت فيها ابراهيم عليه السلام، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فتجده حياً يمص إبهامه يزعمون- والله أعلم- أن الله جعل رزق إبراهيم عليه فيها ما يجيئه من مصه، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل، فقالت: ولدت غلاماً فمات فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم- فيما يذكرون- على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، ولم يمكث

إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً، حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر، فأخرجته عشاء، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إلٰه غيره ثم نظر في السماء ورأى كوكباً، فقال: { هَذَا رَبِّي } ، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب { فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } ، ثم اطلع للقمر فرآه بازغا فقال: { هَذَا رَبِّي } ثم أتبعه ببصره حتى غاب { فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئا هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: { قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)} . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربه وبرئ من دين قومه إلا أنه لم يبادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه، فأخبرته أم إبراهيم عليه السلام أنه ابنه، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه، فسر بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه! فلا يشتريها منه أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوب فيه رءوسها، وقال: اشربي- استهزاء بقومه، وبما هم عليه من الضلالة- حتى فشا عيبه إياها، واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته".[1]

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري"، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، ط٢، دار التراث – بيروت، ١٣٨٧ هـ، ٢٣٣/١ – ٢٣٨.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: "ثُمَّ إِنَّ نُمْرُودَ- فِيمَا يَذْكُرُونَ- قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: أَرَأَيْتَ إِلَهَكَ هَذَا الَّذِي تَعْبُدَ وَتَدْعُو إِلَى عبادته، وتذكره مِنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تُعَظِّمُهُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ مَا هُوَ؟ { قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } ، فَقَالَ نُمْرُودُ: فَأَنَا { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: كَيْفَ تُحْيِي وَتُمِيتُ؟ قَالَ: آخُذُ الرَّجُلَيْنِ قَدِ اسْتَوْجَبَا الْقَتْلَ فِي حُكْمِي، فَأَقْتُلُ أَحَدَهُمَا فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُّهُ، وَأَعْفُو عَنِ الآخَرِ فَأَتْرُكُهُ فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ: { فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}، فَعَرَفَ أَنَّهُ كَمَا يَقُولُ، فَبُهِتَ عِنْدَ ذَلِكَ نُمْرُودُ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَعَرَفَ أَنَّهُ لا يُطِيقُ ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}، يَعْنِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ".[1]

[1] نفسه،١/ ٢٤٠.

المبحث الثالث

ما الإنسان؟.. الرد على الهيومانيزم

القرآن والإنسان:

الأصل الأول لمفاهيم الحكمة الإسلامية عن الإنسان هو القرآن الكريم، ففيه مفاهيم دقيقة عن

أ- خلق الإنسان:

مثل قول الله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } [النساء: ٢٨]، وهذه الآية تكشف الضعف الكامن في الإنسان، نقل عبد الرزاق في تفسيره عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } [النساء: ٢٨] قَالَ: فِي أُمُورِ النِّسَاءِ ، قَالَ: «لَيْسَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي شَيْءٍ أَضْعَفَ مِنْهُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ».[١]

ونستكشف خلق الانسان أيضاً من خلال قوله سبحانه: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) } [الحجر: ٢٦].

[١] أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ): تفسير عبد الرزاق، ط١، دار الكتب العلمية

دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٤١٩هـ، ٤٧٧/١.

والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار. وقيل: المصبوب المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها. وقيل: المنتن، من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به، فالذي يسيل بينهما سنين، ولا يكون إلا منتناً مِنْ حَمَإٍ صفة لصلصال، أى: خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مَسْنُونٍ بمعنى مصور، أن يكون صفة لصلصال، كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف، فيبس حتى إذا نقر صلصل، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر.[1]

وقوله سبحانه { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } [النحل : ٤].

وقوله جل شأنه: { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) } [الحج : ٦٦].

وقوله سبحانه: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) } [المؤمنون : ١٣ – ١٦].

وقوله تعالى: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) } [السجدة: ٧ – ٩].

[1] الزمخشري: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (ت ٥٣٨ هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ٥٧٦/٢.

وقوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) } [يس: ٧٧].

وقوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) } [ق: ١٦ – ١٨].

إن ابتداء الآية: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ } يشير إلى المقتضى الضمني للعبارة. فصانع الآلة أعلم بتركيبها وأسرارها، وهو في الوقت نفسه ليس بخالقها لأنه لم ينشئ مادتها، ولم يزد على تشكيلها وتركيبها. فكيف بالمنشئ الموجد الخالق سبحانه؟ إن الإنسان مخلوق لله أصلاً فهو مكشوف الكنه والوصف والسر لخالقه العليم بمصدره ومنشئه وحاله ومصيره { وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها أي شيء، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله، تمهيداً ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده! { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } الوريد الذي يجري فيه دمه. وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة، والرقابة المباشرة. وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد له أن يرتعش ويحاسب. ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها. بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول. وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في خشية دائمة وحذر دائم ويقظة مستمرة لا تغفل عن المحاسبة.[١]

[١] سيد قطب: "في ظلال القرآن"، ٣٣٦٢/٦.

وقوله سبحانه: { الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) } [الرحمن : ١ -٤].

وقوله تعالى: { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) } [الرحمن: ١٤].

وقوله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) } [المعارج: ١٩ – ٣٥].

ب- حال الإنسان بين الضراء والسراء:

ونلحظ عواطف الإنسان وتقلباته المزاجية استناداً إلى تغير أحواله:

قال تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [يونس: ١٢].

يقول القرطبي:

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ} قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ هُنَا الْكَافِرُ، وقِيلَ: هُوَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمُشْرِكُ، تُصِيبُهُ الْبَأْسَاءُ وَالشِّدَّة. { دَعَانَا لِجَنْبِهِ } أَيْ عَلَى جَنْبِهِ مُضْطَجِعًا. { أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا } وَإِنَّمَا أَرَادَ كل حَالَاتِهِ التي يمر بها، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يجاوز إِحْدَى هذه الحالات الثلاثة. قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا بَدَأَ بِالْمُضْطَجِعِ لِأَنَّهُ بِالضُّرِّ أَشَدُّ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ، فَهُوَ يَدْعُو أَكْثَرَ، وَاجْتِهَادُهُ أَشَدُّ، ثُمَّ الْقَاعِدِ ثُمَّ الْقَائِمِ. { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ} أَيِ اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ وَلَمْ يَتَّعِظْ. قُلْتُ: وَهَذِهِ صفة كثير من المخلطين الْمُوَحِّدِينَ، إِذَا أَصَابَتْهُ الْعَافِيَةُ مَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، فَالْآيَةُ تَعُمُّ الْكَافِرَ وَغَيْرَهُ. {كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا} قَالَ الْأَخْفَشُ: هِيَ" كَأَنَّ" الثَّقِيلَةُ خُفِّفَتْ، { كَذَلِكَ زُيِّنَ } أَيْ كَمَا زُيِّنَ لِهَذَا الدُّعَاءُ عِنْدَ الْبَلَاءِ والاعراض عند الرَّخَاءِ. {زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ} أَيْ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْمَالُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. وَهَذَا التَّزْيِينُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ سبحانه، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وإضلاله دعاؤه إلى الكفر.[1]

وبيّن الله سبحانه حال الإنسان في الشدة أو في الرخاء، فقال تعالى: { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) } [هود : ٩ – ١١].

[1] القرطبي (ت ٦٧١هـ): "القرطبي الجامع لأحكام القرآن" = تفسير القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ٣١٧/٨.

يقول ابن كثير:

يُخْبِرُ تَعَالَى في هذه الآية الكريمة عَنِ الْإِنْسَانِ وَمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ إِلَّا مَنْ رحم الله من عباده المؤمنين أنه إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ حَصَلَ لَهُ يَأْسٌ وَقُنُوطٌ مِنَ الْخَيْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ وَكُفْرٌ وَجُحُودٌ بالنسبة إلى الماضي كَأَنَّهُ لَمْ يَرَ خَيْرًا وَلَمْ يَرْجُ بَعْدَ ذَلِكَ أي فرج. وَهَكَذَا إِنْ أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِقْمَةٍ { لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ } عَنِّي أي يقول: ما يَنَالُنِي بَعْدَ هَذَا ضَيْمٌ وَلَا سُوءٌ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ أَيْ فَرِحٌ بِمَا فِي يَدِهِ بَطِرٌ فَخُورٌ عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا } أي على الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } أَيْ فِي الرَّخَاءِ وَالْعَافِيَةِ { أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ } أَيْ بِمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَّاءِ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ بِمَا أَسْلَفُوهُ فِي زَمَنِ الرَّخَاءِ.[1]

و في قوله تعالى: { وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) } [إبراهيم: ٣٤]، نكتشف أن الكافر ظلوم لنفسه كفّار بنعمة ربه، وقيل أيضاً أن الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفور جاحد لنعم الله عليه.[2]

وقوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) } [الزمر: ٨].

---

[1] ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ٢٦٨/٤.

[2] الخازن (ت ٧٤١هـ): "باب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ، ٣/ ٣٩.

وقوله تعالى: { فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) } [الزمر: ٤٩].

وقوله تعالى: { لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) } [فصلت: ٤٩ – ٥١].

وقوله تعالى: { وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } [الشورى: ٤٨].

وقوله تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) } [الاحزاب: ٧٢].

ج- الوصايا الأخلاقية للإنسان:

ونلحظ وصية الله سبحانه وتعالى للإنسان ببر الوالدين من ذلك قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) } [العنكبوت: ٨].

وقوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) } [لقمان: ١٤ – ١٥].

وقوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) } [الاحقاف: ١٥].

وقوله تعالى: { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) } [الزخرف: ١٥].

د- النهاية الحتمية للإنسان:

ويخبرنا القرآن الكريم عن النهاية التي سينتهي إليها الإنسان حتماً من ذلك:

وقوله تعالى: { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ

(٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) } [القيامة: ٣ -٣٠].

وفي سورة الإنسان، قال الله تعالى: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا

ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الانسان: ١- ٣١].

وقوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) } [النازعات: ٣٤ – ٤١]، وقوله تعالى: { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)} [عبس: ١٧ – ٤٢}.

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ

الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ(١٩) } [الانفطار: ٦ – ١٩].

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) } [الانشقاق: ٦ – ١٥].

السنة النبوية والإنسان:

وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقرأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ ". [1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا – أَوِ امْرَأَةً – كَانَ يَكُونُ فِي المَسْجِدِ يَقُمُّ المَسْجِدَ، فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:

[1] صحيح البخاري، ٨٦/٢، حديث (١٣١٦).

«مَا فَعَلَ ذَلِكَ الإِنْسَانُ؟» قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَفَلاَ آذَنْتُمُونِي؟» فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا - قِصَّتُهُ - قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ، قَالَ: «فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ. [1]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» ، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا». [2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: «أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ». [3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا،

[1] نفسه، ٨٩/٢، حديث (١٣٣٧).
[2] صحيح البخاري، ٤٩/٣، حديث (٢٠٣٥).
[3] نفسه، ١٢٦/٦، حديث (٤٨١٤).

وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». [1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ". [2]

ما أريد قوله أن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تقدم مفاهيم كاملة ونهائية عن الإنسان، كما إن مصدرها الإلهي هو الذي يجعلها ذات خصوصية تختلف عن أي معرفة أخرى، بل تجعلها أيضاً مهيمنة عليها. وبالطبع، فإن الحكمة القرآنية والنبوية هي المقياس في نقد (مفاهيم الأنسنة الغربية) وغيرها عن الإنسان.

مقدمة في الهيومانزيم:

بهذه المنهجية لعلم الحكمة الإسلامية، نؤكد أنه لا يمكن الاستسلام أمام مفاهيم (الهيومانيزم).

صفة الإنساني أو الإنسي **Humaniste** اشتقت في اللغات الأوربية منذ القرن السادس عشر وبالتحديد عام ١٥٣٩ م. أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر **Humanisme** فلم تشتق إلا في القرن التاسع عشر، هذا مع العلم أن مدلولها كان موجوداً منذ أمد طويل. وكانت تطلق على البحاثة المتبحرين في العلم، وبخاصة علوم الأقدمين: اليونان والرومان. وكان ظهورهم بين القرنين الرابع عشر

[1] صحيح مسلم، ١٠٣/١، حديث (١٧٥).

[2] سنن أبي داود، ١١٧/٣، حديث (٢٨٨٠).

والسادس عشر. يقول الكثيرون أن بيترارك (١٣٠٤ – ١٣٧٤) هو أول المفكرين الإنسيين، وبعضهم يقول أنه دانتي (١٢٥٦ – ١٣٢١)، وكان من أشهرهم في القرن الخامس عشر بيك الميراندولي الذي يقول: "قرأت في كتب العرب بأنه لا يمكننا أن نرى شيئاً أجمل من الإنسان". إن كلمة هيومانيزم مشتقة من كلمة **Homme** التي تعني الإنسان في اللغات اللاتينية. إن الحركة الإنسية هي حركة متفائلة بالإنسان وبقدراته على العطاء والإبداع والتوصل إلى أقصى حدود الكمال. وقد بلغت ذروتها في القرن السادس عشر. ومن بين كبار الإنسيين إيراسموس الذي لخّص عصر النهضة كله في شخصه وكان هولندياً في روتردام. كما ونذكر ميلانكتون الألماني مساعد لوثر، وليوناردو دافنشي الإيطالي، ورابليه ومونتيني الفرنسي، وتومسا مور الإنجليزي، وآخرين غيرهم. كان الإنسيون يريدون القفز على كل العصور الوسطى (أي على ألف سنة) من أجل التواصل مع الحضارة اليونانية التي أنجبت شخصيات من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وجالينوس وفيثاغورس وهوميروس وغيرهم كثيرون. كانوا يستلهمون النموذج الإغريقي بكل شخصياته ويقلدونه ويحاكونه، وأصبح سقراط رمزاً. ولذلك تمت الترجمة الحرفية للفكر والأدب اليوناني إلى اللاتينية، وفي محاولات أخرى كان الجهد يتمثل في المحاكاة أو التلخيص أو الشرح أو التعليق على الشروحات أو تحقيق النصوص على الطريقة الفيلولوجية. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا مرتبطين بتراث العصور الوسطى، ولا سيما بالتراث المسيحي.[١]

[١] هاشم صالح: "مدخل إلى التنوير الأوربي"، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥ م، ٧٥ – ٧٦. لمزيد من المتابعة عن الهيومانيزم، انظر على سبيل المثال:

إذن يمكن أن نكتشف أن النزعة الإنسنية، في بداياتها تحديداً، كانت نزعة تدعو إلى العودة إلى تراث الحضارة اليونانية، وإلى فلاسفته ومفكريه من أمثال: سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وقد بيناً مسبقاً في هذا الكتاب أن المرجعية الوثنية للحضارة اليونانية تجعل من المستحيل العودة إليها واتخاذها نموذجاً فكرياً أو مرجعاً حضارياً، ولهذا فطريق الحكماء المسلمين هو في الدعوة إلى اتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية المرجع الأساس لمفاهيم الأنسنة في علم الحكمة الإسلامية.

ويمكن أن نضيف على ذلك أن اليونانيين كانوا كالأقوام الأخرى إذ أصابوا الحق والصواب في مورد وواجهوا الخطأ والانحراف في مواطن أخرى، وقد عرفوا أشياء وغابت عنهم أشياء أخرى.[1]

وبهذه الطريقة لا يمكن أن نستسلم أمام مفهوم أرسطو للنفس، حين ذكر أن أحوال النفس لا تنفصل عن الهيولى الطبيعية للحيوانات، ولا لتحديدات الفلاسفة عن النفس بأنها ترجع إلى الحركة، والإحساس، واللاجسمية، ولذلك فإن الذين يحدون النفس بالمعرفة، إما أن يجعلوها عنصراً، وإما أن يجعلوها مركبة من العناصر، فيقررون

Jeaneane D. Fowler, Humanism: Beliefs and Practices (Brighton and Oregon: Sussex Academic Press, 1999); Tony Davis, Psychology Press, (New York: Routledge, 1997); Jim Herrick Humanism: An Introduction (New York: Promethous Books, 2005); Théodor Schwarz, Irrationalisme et humanisme: Critique d'une idéologie impérialiste: Raison Dialectique: L'Age de L'Homme (Lausanne: L'Age de L'Homme, 1993).

[1] الاستاذ مصطفى طباطبائي: "المسلمون في مواجهة المنطق اليوناني: نقد علماء المسلمين لمنطق أرسطو وموازنته بمنطق الفلاسفة الغربيين"، ترجمه من الفارسية عبد الرحيم ملازئي البلوشي، ط١، دار ابن حزم، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠، ص ٤٢.

بذلك آراء متقاربة، ما عدا واحداً، فهم يقولون إن الشبيه يعرف بالشبيه، وما دامت النفس تعرف من جميع هذه الأشياء فإنهم يركبونها من جميع المبادئ. إن الحركة التي يتحرك بها الجسم، هي أيضاً التي تحرك النفس.[1]

لن يسلم الحكماء المسلمون، ما دام لديهم كل هذه الثروة الهائلة من المفاهيم القرآنية والنبوية لنيتشه فيجعلونه قائداً أو محدداً لمفاهيمهم عن الإنسان أو غيره من المفاهيم. لن نسمع لنيتشه وهو يقول: "اسمعوني! فأنا فلان الفلاني. لا تخلطوا بيني وبين شخص آخر! أنا، مثلاً، لست فزّاعة على الاطلاق، ولا أنا غول أخلاقي – بل إنني من طبيعة نقيضة لذلك الصنف من البشر الذي ظل الناس إلى حد الآن يقدسونهم كأمثلة للفضيلة. بل لأقولها بيني وبينكم إن ذلك بالذات هو ما يبدو لي أحد عناصر اعتزازي بنفسي؛ فأنا تلميذ لديونيزيوس، وإني لأفضل أن أكون مهرجاً على أن أكون قديساً. فليقرأ الناس إذن هذا النص! فلعلي قد وفقت في مهمتي؛ إذ ربما لم تكن له من غاية سوى التعبير بصفة بهيجة وودودة عن هذا التناقض.. إن أكذوبة المثل ظلت إلى حد الآن اللعنة الحائمة فوق الواقع، وعبرها غدت الإنسانية مشوهة ومزيفة حتى في غرائزها الأكثر عمقاً – تزييف بلغ حد تقديس القيم المعكوسة المناقضة لتلك التي بإمكانها أن تضمن النمو والمستقبل، والحق المقدس في مستقبل".[2]

[1] أرسطو طاليس: "كتاب النفس"، نقله إلى العربية الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الدكتور جورج شحاته قنواتي، ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٩م، الصفحات: ٨، ١٥، ١٦، ١٩.

[2] نيتشه: "هذا هو الانسان"، ترجمه عن الألمانية علي مصباح، منشورات الجمل، كولونيا – المانيا، ص ١-٢.

أنت من يجب أن يسمع لنا يا نيتشه، لن نذعن لك، ولن نسمع لجنونك وهذيانك، واطمئن إننا لن نخلط بينك وبين أي شخص آخر لأن جنونك لا يشبهه جنون، وانحرافك بلغ حده في الغرابة والتفرد. يكفيك أنك تريد أن تكون مهرجاً، وهذا هو قدرك الذي وضعناك فيه لأنك من طلب هذه المنزلة وسعى لها، من زيف الإنسانية ليس القيم العليا أو قيم الفضيلة، إن من زيف الإنسانية هو جنونك، فتمتع بجحيمك، لأننا سنتعوذ بالله منك ومن وسوساتك، الله سبحانه هو القدوس والمعبود والمستعان بالنسبة لنا.

بهذه الطريقة أيضاً فإن علم الحكمة الإسلامية يختلف اختلافاً جذرياً عن كل الفلسفات الوجودية بوصفها فلسفات أقيمت حول الانسان، وفيها وبها اختلافات جذرية حول المفهوم الوجودي، فالبعض مثل يسبرز ووفقاً للتصور الكيركجوردي يذهبون إلى أن النظر في الوجود يقتضي إنكاراً للفلسفة بعّدها مذهباً، وخصوصاً أن فلسفة الوجود لا تعني سوى تحليل الوجود من حيث أخص ما فيه من فردية وعينية، وأما كل ما عدا ذلك – وخصوصاً التأمل الميتافيزيقي – فإنه لا يعدو سوى أن يكون شفرة قيمتها الوجودية ليست لها بالمعنى الموضوعي الذي تتخذه سوى علاقة رمزية أو علاقة إشارة. والبعض الآخر مثل هيدجر يصرون على القول بأن الوجودية يجب أن تقتصر على التحليل الوجودي الذي يردها إليه يسبرز ويؤكدون خطتهم في أن يقيموا على أساس هذا التحليل فلسفة وجود أي علم وجود. هذه الأنطولوجيا في نظر برديائيف ويسبرز هي فلسفة عن الوجود شبيهة بالنظريات المجردة التي يقدم لنا التاريخ المتعلق بالمذاهب الفلسفية نماذج خادعة لا طائل من ورائها. بهذه الطريقة يمكن أن نفهم رفض هيدجر أن يعد في جملة الوجوديين. وإذا قارنا بينه وبين يسبرز فمن الأحرى أن

يعد معادياً للوجودية. أما بالنسبة لسارتر فهو من ناحية يقترب من هيدجر من حيث الطموح إلى إنشاء إلى "أنطولوجيا ظواهرية". وأما جبريل مارسيل فيبدو متردداً بين الاتجاه الذي يرسمه يسبرز وبين توجه هيدجر المذهبي، إذ يبدو في الواقع أنه في تمسكه حتى الآن بالتحليل الوجودي، يوافق على إمكانية إقامة فلسفة عينية لا تكون أنطولوجيا بالمعنى الدقيق، وإنما تكون صياغة مذهبية لمطالب الإنسان الجوهرية ابتداء من حاجته إلى المطلق، تلك الحاجة التي تعد أدوم سماته وأعمقها. هذا بالإضافة إلى فئة ثالثة من المفكرين من أمثال كامي وباتاي ولكنهم من جهة يرفضون هذه التسمية بإصرار، وهم من جهة أخرى لا يشتركون في شيء من الواقع مع الفلاسفة السابقين، باستثناء جبرييل مارسل، إلا في اعتقادهم أن الوجود والعالم عبث سخيف في جوهره. [1]

وبهذه المنهجية للمذهب الإنساني الخاص بعلم الحكمة الإسلامية لا يمكن التسليم بمفاهيم ما يسميه أوليفييه روا ب(الحداثة الوثنية: آلهة الإنسان الملحد الجديدة) حينما يشدد على أن نهاية ضبط تناسق الحركة والأفق المشترك لثقافة دينية لا يتأتى من نسيان الثقافة للدين فحسب، بل مما تدعيه من قيم جديدة ومراجع جديدة مناقضة لتلك الموجودة لدى الديني. واليوم، يقول روا، يدين الدين الوثنية الثقافية الجديدة. تدور موضوعات هذه الثقافة المذكورة حول الجنسانية والمرأة والإنجاب، ومن

[1] ريجيس جوليفيه: "المذاهب الوجودية: من كيركجورد إلى سارتر"، ترجمة فؤاد كامل، ط ١، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨م، ٦ – ٧. ولمزيد من المتابعة عن الوجودية، انظر:

Jean Beaufret, Guy Basse, De L'existentialisme ā Heidegger: Introduction Aux Philosophies de L'existence et Autres Textes (Vrin: Libraire Philosophique, 2000); Dorothea Wildenburg Ist der Existentialismus ein Idealismus?: Transzendentalphilosophische (Amesterdam–New York: Editions Rodobi, 2003).

جهة ثانية المكان الممنوح للفرد، والاثنان مترابطان أشد الترابط (حلول الكائن البشري محل الله)، هكذا تتصور هذه الثقافة بحسب روا، (وهذا ما لن تسمح به أبداً المفاهيم الإنسانية لعلم الحكمة الإسلامية، والتي ستشدد دائماً وأبداً على ضرورة التزام الإنسان بالعبودية المطلقة والخالصة لله سبحانه). ويستوي صعود الحركة النسوية ومطالبتها بالمساواة مع الفكرة القائلة بأن الحرية الفردية تغلب الطبيعة، وهذا الأمر في صلب الجدل الدائر حول الإجهاض، ففيه وحدة تتجسد تغييرات النماذج كافة. فلم يعد الجنس الإحيائي هو الذي يحدد النوع، والإنجاب لم يغد اختباراً فحسب بل يصبح مصطنعاً على نحو مطرد، وتكف العائلة عن كونها الإطار الضروري للبنوة، (لا يمكن أن يكون هذا بأي حال من الأحوال في مفهوم العائلة في علم الحكمة الإسلامية، لأن المفهوم الذي يورده روا يتقاطع بالضرورة مع المفاهيم الإسلامية حول بر الوالدين وصلة الارحام والترابط والتكافل الاجتماعي والاسري) ويدعي الفرد أن يحدد نفسه بنفسه، يواصل روا الحديث عن الثقافة الوثنية الحداثية المذكورة)، كما لا يقتصر الأمر على انفصال القيم عن الطبيعة، بل إن مفاهيم القيمة، والمعيار، والأخلاق، أصبحت مثار جدل، كما إن مفهوم الفرد المتحرر ينحدر من مفاهيم الغرب المسيحي، وهكذا تحصل عمليات إعادة التركيب بمنأى عن سلالة المفاهيم.[1]

[1] أولفييه روا: "الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة"، ترجمة صالح الأشمر، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م، ١٩٨ – ١٩٩. يعد أوليفيه روا من الفلاسفة والمستشرقين المتخصصين بالشأن الاسلامي، نذكر من مؤلفاته على سبيل المثال:

Olivier Roy, The Failure of Political Islam, Translated by Carol Volk (US: Harvard University Press, 1996); Olivier Roy, Globalized Islam: the Search for a New Ummah (New York: Columbia University Press, 2004); Olivier Roy, Secularism Confronts Islam, Translated by

وإذا أردنا أن نعود بجملة الأفكار الغربية الحديثة حول الإنسان فلا بد أن نتذكر فلسفة الأنوار، وبالتحديد تاريخ الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر، والذي يعد تاريخ التطور الجامح للإيديولوجيا البرجوازية، ورواجها المنقطع النظير، أي تاريخ الإعداد الإيديولوجي للثورة الفرنسية. فالمذهب الإنساني للقرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر كان قد حمل السمات المنظورة لعقلية وتطلعات الطبقة الجديدة التي هي قيد التكون البرجوازية. ففي إطار المذهب الإنساني، عارض التصور العلماني الجديد للعالم، الذي تقدم به المجتمع البرجوازي الجديد، عارض سلطة الكنيسة، القوية في ظل الإقطاع، بمبدأ حرية تفتح الشخصية الإنسانية، كما عارض أخلاق القرون الوسطى التقشفية والزهدية بالتأكيد على حق التنعم بملذات الدنيا وإشباع مختلف

George Holoch (New York: Columbia University Press, 2007); Olivier Roy, Islam and Resistance in Afghanistan (New York: Cambridge University Press, 1990); Olivier Roy, Holy Ignorance: When Religion and Culture Part Ways, Translated by Ros Shwartz (New York: Columbia University Press, 2010); Mariam Abou Zahab, Olivier Roy, Islamist Networks: The Afghan-Pakistan Connection (New York: Columbia University Press, 2004); Olivier Roy, The New Central Asia: Geopolitics and the Birth of Nations (London: Taurus Co. & Ltd, 2000), Cesare Merlini, Olivier Roy, Arab Society in Revolt: The West's Mediterranean Challenge, editors (Washington: Brookings Institution, 2012, Olivier Roy, The Politics of Chaos in the Middle East (Columbia University Press, 2008); Olivier Roy, Editor, Turkey Today: A European Country? (London: Anthem Press, 2004); Michael Emerson, Olivier Roy, Ethno-Religious Conflict in Europe: Typologies of Radicalisation in Europe's Muslim Communities (Brussels: CEPS, 2009); Patrick Girard, Olivier Roy, Mathieu Marion, Dynamic Formal Epistemology (Heidelberg: Springer, 2011); Amel Boubekeur, Olivier Roy, Whatever Happened to the Islamists?: Salafis, Heavy Metal Muslims and the Lure of Consumerist Muslims (New York: Columbia University Press, 2012).

الحاجات والأهواء. أشاد المذهب الإنساني بالإنسان الحر الذي يبني مصيره بيديه. ولم يوفر هذا المذهب جهداً ليحرر الضمير الإنساني من التصورات الدينية عن الآخرة وليجعل من الحياة الدنيا محور الاهتمامات البشرية. وقد أعطت الثورة الانكليزية في القرن السابع عشر، بما شهدته من صراع بين المصالح الاجتماعية والبرامج السياسية، دفعاً قوياً لتطور الإيديولوجيا البورجوازية لاحقاً. كما ساهم المفكرون الإنكليز في القرن السابع عشر وفي مطلع القرن التالي، على نحو لا يستهان به، في تكوين الأفكار السياسية البورجوازية. لكن التصور البورجوازي للعالم لن يجد تعبيره الواضح والمكتمل إلا في القرن الثامن عشر، وفي فرنسا ما قبل الثورة تحديداً. ففي القرن الثامن عشر بلغ التطور البورجوازي ذروته.[1]

أما الفكر الإسلامي فد استقر عند النظرة العقائدة القائلة بأن الله سبحانه إله أخلاقي من ناحية الجوهر، فإن العلاقة بين الله والإنسان لا بد من أن تكون ذات طبيعة أخلاقية أيضاً. وبتعبير آخر، فإن الله سبحانه يتصرف تجاه الإنسان على نحو أخلاقي، أي بوصفه إله العدل والخير، والمتوقع من الإنسان بناء على ذلك أن يستجيب لهذه المبادرة الإلهية بطريقة أخلاقية أيضاً. وهي لحظة حاسمة في البنية الدينية للإسلام أن يستجيب الإنسان حقاً بالطريقة الأخلاقية الصحيحة. إنها ليست مجرد مسألة الخير والشر الإنساني بل تعتمد على الاستجابة الأخلاقية للإنسان في ضوء التعاليم الإلهية.[2]

---

[1] فولغين: "فلسفة الأنوار"، ترجمة هنرييت عبودي، مراجعة جورج طرابيشي، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٧.

[2] توشيهيكو إيزوتسو: "الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٣٥٥.

بهذه الطريقة يسعى علم الحكمة الإسلامية إلى جعل الإنسان أسعد وأكثر كمالاً، وبالتالي فهو يصحح ما قاله جوته في "الآم فرتر" من إن "الإنسان الكامل السعيد: .. هو إنسان لا وجود له، إلا في خيالنا نحن"،[1] لأن الكمال الانساني قد تجلى في أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وقد وصل الكمال الإنساني إلى أقصاه في النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

[1] يوهان جوته: "الآم فيرتير"، ترجمة د. فؤاد فريد، منشورات المكتبة الحديثة، ودار المشرق العربي، بيروت، ص ٥٨.

[2] ينظر كتاب السيد محمد بن السيد علويين السيد عباس المالكي الحسني: "محمد: الانسان الكامل"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧.

المبحث الرابع

مكارم الأخلاق،، ومسؤولية الالتزام

يقول الله سبحانه في كتابه الكريم:

{ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) } [الإسراء: ٢٢ – ٣٩].

ويقول سبحانه: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) } [لقمان: ١٣ – ١٩].

الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية تستمد أسسها من توحيد الله سبحانه، وهذا هو الفاصل بين أخلاق الإيمان وأخلاق الكفر، فالباعث على العمل الطيب، والخلق الطيب، هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والتطلع إلى رضا الله وجزاء الآخرة. فهو باعث رفيع لا ينتظر صاحبه جزاء من الناس، ولا يتلقاه من عرف الناس ابتداء! فإذا لم يكن

هناك إيمان بإله يبتغي وجهه، وتتحدد بواعث العمل بالرغبة في رضاه. وإذا لم يكن هناك اعتقاد بيوم آخر يتم فيه الجزاء اتجه هم الناس إلى نيل القيم الأرضية المستمدة من عرف الناس. وهذه لا ضابط لها في جيل واحد في رقعة واحدة، فضلاً عن أن يكون لها ضابط ثابت في كل زمان وفي كل مكان! وكانت هذه هي بواعثهم للعمل. وكان هناك التأرجح المستمر كتأرجح أهواء الناس وقيمهم التي لا تثبت على حال! وكان معها تلك الصفات الذميمة من الفخر والخيلاء، والبخل والتبخيل، ومراءاة الناس لا التجرد والإخلاص![1]

وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ العَفْوَ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاسِ، أَوْ كَمَا قَالَ».[2]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا».[3]

ومن الممكن التوسع في دراسة أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال كتاب أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي الشيخ الأصبهاني، فقد خصص كتابه كله لدراسة الأخلاق النبوية، ومما أورده من الآثار في ذلك:

عَنِ الصَّادِقِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا».

[1] سيد قطب، ٦٦١/٢.

[2] صحيح البخاري، ٦٠/٦، حديث (٤٦٤٤)، سنن أبي داود، ٢٥٠/٤، حديث (٤٧٨٧).

[3] نفسه، ٢٠٠٥/٤، حديث (٢٥٩٧).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ، فَلِذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} [القلم: ٤].

وعن الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، أَنَّ ابْنَ خَارِجَةَ يَعْنِي سُلَيْمَانَ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَاهُ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا إِذَا جَلَسْنَا إِلَيْهِ إِنْ أَخَذْنَا بِحَدِيثٍ فِي ذِكْرِ الْآخِرَةِ أَخَذَ مَعَنَا، وَإِنْ أَخَذْنَا فِي ذِكْرِ الدُّنْيَا أَخَذَ مَعَنَا، وَإِنْ أَخَذْنَا فِي ذِكْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَخَذَ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ: قُلْنَا لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَخْبِرْنَا عَنْ أَخْلَاقِ، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: عَنْ أَيِّ أَخْلَاقِهِ أُخْبِرُكُمْ؟ كُنْتُ جَارَهُ، فَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيِ بَعَثَ إِلَيَّ فَأَكْتُبَهُ، وَكُنَّا إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا - فَذَكَرَ مِثْلَهُ.[1]

وعَنْ جَرِيرٍ" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِهِ، فَامْتَلَأَ الْبَيْتُ، وَدَخَلَ جَرِيرٌ فَقَعَدَ خَارِجَ الْبَيْتِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَفَّهُ وَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ: اجْلِسْ عَلَى هَذَا، فَأَخَذَهُ جَرِيرٌ، وَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَبَّلَهُ ".

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَسَأَلْتُهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتِ: الْقُرْآنُ.

وعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ } [آل عمران: ١٥٩] قَالَ: هَذَا خُلُقُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعَتَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[1] أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٩٦ هـ): "أخلاق النبي وآدابه"، تحقيق صالح بن محمد الونيان، ط١، دار المسلم، ١٩٨٨م، ١؟ ٧٥ – ٧٩.

وعَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: " كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ فَصَلَّى ". [1]

ففي أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اجتمعت الأخلاق العظيمة، والكمالات العلمية والعملية، والأوصاف الجزيلة، والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن، ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي، فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي أيضاً، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته صلى الله عليه وسلم من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام. وقد أقر المخالفون أيضاً بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته صلى الله عليه وسلم، مثلاً "اسبان هميس" من الذين هم أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم والطاعنين في حقه، لكنه اضطر في الإقرار بوجود أكثر الأمور المذكورة في ذاته صلى الله عليه وسلم. كما نقل سيل قوله في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠ هكذا: (أنه كان حسن الوجه وزكيًا وكانت طريقته مرضية، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن، وكان شجاعاً على الأعداء، وكان يعظم اسم الله تعظيماً عظيماً، وكان يشدد على المفترين، والذين يرمون البرآء، والزانين، والقاتلين، وأهل الفضول، والطامعين، وشهود الزور، تشديداً بليغاً، وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود والرحم والبر والإحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم، وكان عابداً مرتاضاً في الغاية) انتهى كلامه.[2]

---

[1] نفسه،١/ ٨٧ – ٩٥.

[2] محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ): "إظهار الحق"، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية

عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ».[1]

إذن هذه هي موارد علم الأخلاق الإسلامي، القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأصليان الذي تستمد منه الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية.

يلخص الجنيد مفهوم الأخلاق في الإسلام بالقول: "تصفية الْقلب عَن مُوَافقَة الْبَريَّة ومفارقة الْأَخْلَاق الطبيعية وإخماد الصِّفَات البشرية ومجانبة الدَّوَاعِي النفسانية ومنازلة الصِّفَات الروحانية والتعلق بالعلوم الْحَقِيقِيَّة وَاسْتِعْمَال مَا هُوَ أولى على الأبدية والنصح لجَمِيع الْأمة وَالْوَفَاء لله على الْحَقِيقَة وَاتِّبَاع الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الشَّرِيعَة".[2]

ويؤكد الغزالي أن "السلوك هُوَ تَهْذِيب الْأَخْلَاق والأعمال والمعارف وَذَلِكَ اشْتِغَال بعمارة الظَّاهِر وَالْبَاطِن وَالْعَبْد فِي جَمِيع ذَلِك مَشْغُول بِنَفسِهِ عَن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا أَنه مشتغل بتصفية بَاطِنه ليستعد للوصول وَإِنَّمَا الْوُصُول هُوَ أَن ينْكَشف لَهُ جلية الْحق وَيصير مُسْتَغْرقا بِهِ فَإِن نظر إِلَى مَعْرفَته فَلَا يعرف إِلَّا الله وَإِن نظر إِلَى همته فَلَا همة لَهُ سواهُ فَيكون كُله مَشْغُولًا بكله مُشَاهدَة وهما لَا يلْتَفت فِي ذَلِك إِلَى نَفسه ليعمر ظَاهره

جامعة الملك سعود – الرياض، ط١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م، ١٠٧٣/٤.

[1] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ): "دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني"، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ١٨١/١.

[2] الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ): "التعرف لمذهب أهل التصوف"، دار الكتب العلمية – بيروت، ص ٢٥.

بِالْعبَادَة أَو بَاطِنه بتهذيب الْأَخْلَاق وكل ذَلِك طَهَارَة وَهِي الْبِدَايَة وَإِنَّمَا النِّهَايَة أَن يَنْسَلِخ من نَفسه بِالْكُلِّيَّةِ ويتجرد لَهُ فَيكون كَأَنَّهُ هُوَ وَذَلِكَ هُوَ الْوُصُول عِنْده".[1]

ونقل القنوجي كلاماً طويلاً في الإجماع يرد فيه الحديث عن جملة من الأخلاق الإسلامية، منها:

والإجماع ما عليه أهل العلم، من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، مما يتعلق بالدين، والإجماع المنضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف، ولم يوجد إجماع على حده، ولهذا أنكره الإمام أحمد، وغيره، من أهل التحقيق. وهم مع هذه الأصول، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة، ويحافظون على الجماعات، والجمعة، ويدينون بالنصيحة للأمة، ولولاة الأمور، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[3]. ويأمرون بالصبر عند

---

[1] الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، الجفان والجابي – قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ص ١٥٥ – ١٥٦.

[2] الحديث أخرجه البخاري، ١٢/٨، حديث رقم (٦٠٢٦)، وانظر: مسند أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث – دمشق، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، ١٣/ ٣٠٧، حديث (٧٣٢١).

[3] الحديث أخرجه البخاري، ١٠/٨، حديث (٦٠١١)، أخرجه مسلم، ١٩٩٩/٤، حديث (٢٥٨٦)، و ٤/ ٢٠٠، حديث (٢٥٨٦)، وانظر: مسند الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقق نصوصه وخرج أحاديثه حسن سليم أسد الدَّارَانيّ دار السقا، دمشق – سوريا، ١٩٩٦ م، ١٦٣/٢، حديث (٩٤٤)، ومسند أحمد، ٣٠/ ٣٠٣ – ٣٠٤، حديث (١٨٣٥٥)، ٣٠/ ٣٢٣، حديث (١٨٣٧٣)، ٣٠/ ٣٣٠، (وموارد أخرى كثيرة في المسند) حديث (١٨٣٨٠)، مسند البزار، ٢٢٤/٨، حديث (٣٢٧٦)، ٢٣٨/٨، حديث (٣٢٩٩)، أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن

البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بالقضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويقولون: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[1] كما في الحديث. ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك. وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سافلها. وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره

زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ): "معجم ابن الأعرابي"، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٥١٦/٢، حديث (٩٧٠)، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣هـ): "جزء من حديث خيثمة الأطرابلسي، ط١، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الاسلامية، ٢٠٠٤، ١/ ٧٤، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣، ٤٦٩/١، حديث (٢٣٣)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): "الروض الداني (المعجم الصغير)"، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، المكتب الاسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ص ٣٢٥، حديث (٣٨٢)، الطبراني: "المعجم الكبير"، ٤٠/٢، حديث (١٢٢٣) (وموارد أخرى كثيرة في المعجم)، أبِي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ): "كتاب الأمثال في الحديث النبوي"، الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، الدار السلفية - بومباي - الهند، ١٤٠٨ - ١٩٨٧م، ص ٤٠١، حديث (٣٥٠)، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت ٣٩٥هـ): "الإيمان لابن منده"،تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٦، ٤٥٥/١ حديث (٣١٩).

[1] معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري (ت ١٥٣هـ): "الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الاسلامي ببيروت، ١٤٠٣ هـ، ١٩١/١١، حديث (٢٠٢٩٧).

فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقهم هو دين الإسلام، الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. [1]

يقول الشيخ محمد عبده في أخلاق الذي اتبعوا الأنبياء:

" أما أَرْبَاب النُّفُوس الْعَالِيَة والعقول السامية من العرفاء مِمَّن لم تدن مَرَاتِبهمْ من مَرَاتِب الْأَنْبِيَاء وَلَكنهُمْ رَضوا أَن يَكُونُوا لَهُم أَوْلِيَاء وعَلى شرعهم ودعوتهم أُمَنَاء فكثير مِنْهُم نَالَ حَظه من الْأنس بِمَا يُقَارب تِلْكَ الْحَال فى النَّوْع أَو الْجِنْس لَهُم مشارفة فى بعض أَحْوَالهم على شىء فى عَالم الْغَيْب وَلَهُم مشَاهد صَحِيحَة فى عَالم الْمِثَال لَا تنكر عَلَيْهِم لتحقيق حقائقها فى الْوَاقِع فهم لذَلِك لَا يستعبدون شَيْئا مِمَّا يحدث بِهِ عَن الْأَنْبِيَاء صلوَات الله عَلَيْهِم وَمن ذاق عرف وَمن حرم انحرف وَدَلِيل صِحَة مَا يتحدثون بِهِ وَعنهُ ظُهُور الْأَثر الصَّالح مِنْهُم وسلامة أَعْمَالهم مِمَّا يُخَالف شرائع انبيائهم وطهارة فطرهم مِمَّا يُنكره الْعقل الصَّحِيح أَو يمجه الذَّوْق السَّلِيم واندفاعهم بباعث من الْحق النَّاطِق فى سرائرهم المتلألىء فى بصائرهم إِلَى دَعْوَة من يحف بهم إِلَى مَا فِيهِ خير الْعَامَّة وترويح قُلُوب الْخَاصَّة". [2]

[1] محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ): "قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر"، ط١، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

[2] محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ): "رسالة التوحيد"، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، ص ٦٠.

الأخلاق الفلسفية: مقدمة نقدية

إذن يتبين أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأساس للأخلاق في علم الحكمة الإسلامية، وبهذه الطريقة نصل إلى ثبات الأخلاق على الرغم من تغير الزمان والمكان والأشخاص.[١]

وهذا المعيار هو الذي يمنح الثبات للأخلاق، وليس كما ذهب د. حسام الآلوسي إلى أن الأخلاق تعتمد على تقرير شيئين:

١. إن الإنسان وسلوكه مرحلة متطورة من الإنسان الراقي.

٢. إن الأخلاق مسألة تاريخية اجتماعية.[٢]

إنها أخلاق إيمانية وعملية في الوقت ذاته، وليست على الطريقة التي نظر بها سبينوزا لعلم الأخلاق حين تحدث عن قوة العقل مبينا ما بقدر عليه العقل ذاته ضد الانفعالات ، ثم انتقل إلى كيفية السمو بالذهن إلى مستوى الكمال والسبيل إلى ذلك، رافضاً الحديث عنها في معرض بيان الأخلاق لأنها تعود إلى الطب والمنطق كما يقول، بل سيركز حديثه على قوة النفس، مبيناً ما للنفس من سلطة على الانفعلات، وما طبيعة هذا السلطان، وما هي قدرتها على كبحها والتحكم بها. ويتحدث عن بديهيات منها: ١- إذا ما نشأ فعلان متضادان داخل نفس الذات، فلا بد أن يطرأ بالضرورة تغير على كلا

---

[١] انظر حول القضية أعلاه مقالي الموسوم: "مناقشة د. حسام الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق يلغي الأخلاق أصلاً"، موقع الحوار المتمدن، العدد ٣٨٣٣، ٢٨/ ٨/ ٢٠١٢.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=321776

[٢] د. حسام محيي الدين الآلوسي: "التطور والنسبية في الأخلاق"، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٦.

الفعلين أو على أحدهما دون الآخر، حتى يزول تضادهما. ٢- تتحدد قوة المعلول بقوة علته، بقدر ما تتحدد ماهيته، أو تعلل بماهية علته. ويشير إلى قضية مفادها أنه بقدر ما تكون الأشياء وصورها الذهنية منظمة ومترابطة في النفس تكون انفعالات الجسم، أي صور الأشياء على نفس النظام والترابط في الجسم. ويبرهن بالقول: إن نظام الأفكار وترابطها هو عينه نظام الأشياء وترابطها، والعكس بالعكس، أي أن نظام الأشياء وترابطها هو عينه نظام الأفكار وترابطها، وعليه فكما أن نظام الأفكار وترابطها في النفس يوافقان نظام انفعالات الجسم وترابطها، فبالعكس أيضاً يوافق نظام انفعالات الجسم وصورها الذهنية وترابطها في النفس. ويشير إلى القضية الثانية ومفادها أنه إذا فصلنا تأثراً أو انفعالاً نفسياً عن فكرة علة خارجية وربطناه بأفكار أخرى فإن حب العلة الخارجية أو كرهها سيزول، كما تزول تقلبات النفس الناجمة عن هذين الانفعالين.[١]

كما أن مفهوم الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية مختلف بالتأكيد عن مفاهيم نيتشه عن الاخلاق، حين تصور أن عبارة (علم الأخلاق) مفرطة في الكبرياء ومنافية للذوق السليم، الذي اعتاد يوماً أن يكون ذوقاً يستعمل كلمات أكثر تواضعاً. ما ينقصنا (يؤكد نيتشه) تجميع المواد والدرك المفهومي والتنسيق لملكوت شاسع من لطيف المشاعر القيمية والفروق القيمية التي تعيش وتنمو وتتوالد وتهلك. وحتى اليوم، يرى نيتشه، بأنه لم يظهر مثل هذا القدر من التواضع، فالفلاسفة جميعاً ما أن يتناولون الأخلاق

[١] سبينوزا: "علم الأخلاق"، ترجمة جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر بدون تاريخ، تونس، ص ٣٥٥ – ٣٥٧.

كعلم، حتى يطرحوا على أنفسهم، بعبوس متكلف يضحك، إنجاز ما هو أكثر علواً وتطلباً ومهابة بكثير، فهم يريدون تأسيس الأخلاق، وقد ظن كل واحد منهم أنه قد أسس الأخلاق، أما الأخلاق فقد سلم بها بوصفها معطاة. ويشن نيتشه حملة شعواء على الفلاسفة في أنهم لم يكشفوا عن أي وجه من مشكلات الأخلاق الحقيقية، تلك التي لا تظهر إلا بالمقارنة بين أنماط أخلاقية كثيرة.[١]

يرى الدكتور إمام عبد الفتاح إمام أن الانسان كائن أخلاقي يتميز عن الحيوانات الأخرى بهذا السلوك السامي الذي يجعل من الأخلاق طبيعة ثانية له، فهو وحده الذي يستطيع أن يضبط نفسه، وأن يكف عن إشباع رغباته، وهو الذي يستطيع أن يسيطر على غرائزه، وانفعالاته بحيث يسلك رغماً عنها، وربما ضدها في بعض الأحيان، هذا الإنسان صاحب الخلق يمكن أن يوصف سلوكه بالشجاعة أو الجبن، بالأمانة أو السرقة، بالصدق أو الكذب، بالتقوى أو الفجور، إلى غير ذلك.[٢]

وأقول للدكتور إمام: نعم، إن مسؤولية الانضباط الأخلاقي يقع على عاتق الإنسان، لأنه الوحيد المسؤول عن انفعاله إيجاباً أو سلباً، ولكن ما المعيار الذي يقوم للإنسان هذا الانضباط الاخلاقي، وتقيم بموجبه الأفعال؟ إنه الكتاب والسنة النبوية المصدرين لتقييم الأخلاق الإسلامية، وبهذه الطريقة يتم ضبط الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية.

[١] نيتشه: "ما وراء الخير والشر: تباشير فلسفة للمستقبل"، دار الفارابي، بيروت، ص ١٢٨.

[٢] إمام عبد الفتاح إمام: "الأخلاق والسياسة: دراسة في فلسفة الحكم"، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١م، ص ٧٢.

فكل إنسان يحتاج إلى أن يبني أفعاله على ضوء مبدأ معين، وإذا لم يكن لديه موقف من المشكلات الأخلاقية التي تعرض له فإنه في هذه الحالة يصل إلى السلبية في الموقف، وهذه السلبية ضد المبدأ الأخلاقي نفسه.[١]

الفلسفة الأخلاقية، يرى د. طه عبد الرحمن، التي تعد الإيمان بإله أصلاً من أصولها وتبني عليه جملة من الفضائل الإنسانية، لا بد أن تعد صفات هذا الإله واجبة في حقه، ولا سيما تلك التي تكون باعثة على الأفعال الأخلاقية، وأول هذه الصفات هي كونه مريداً بإرادة كاملة، وإرادته في أفعال مخلوقاته من البشر إنما هي الأمر بخيرها، فيلزم إتيانه، وكذا النهي عن شرها، فيلزم اجتنابه، ومعلوم أن أحد تجليات هذه الإرادة هي جملة الأوامر والنواهي التي كتبها الإله في الألواح لسيدنا موسى عليه السلام والتي تعرف عند أهلها بالوصايا العشر، وقد اشتهر النظر في الإرادة الإلهية على هذا النحو الذي يجعل الأخلاق تابعة للدين باسم (نظرية الأمر الإلهي للأخلاق). [٢]

إذن الدين هو الأصل الذي ينبغي للأخلاق أن ترجع إليه، وبهذه القاعدة أكون قد أجبت عن السؤال الذي طرحه نيشته في كتابه: "أصل الأخلاق وفصلها"، وسؤاله هو: "ما هو الأصل الذي ينبغي أن نعزو إليه في نهاية الأمر ما لدينا من أفكار حول الخير والشر؟" وهنا نصل إلى نقد التمييزات التي يطرحها نيتشه بين الحكم اللاهوتي المسبق، والحكم الأخلاقي المسبق، لأن الأخلاق بالنسبة لعلم الحكمة الإسلامية أمر قد فرغ منه وتقرر مسبقاً في المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الوحي ممثلاً بكتاب الله وسنة رسول الله صلى

[١] د. السيد محمد بدوي، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٨.
[٢] طه عبد الرحمن: "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ م، ص ٣٤.

الله عليه وآله وسلم. والوحي هو الأساس أيضاً في الإجابة على سؤال نيتشه الآخر في كتابه المذكور: "في أية شروط عمد الإنسان إلى اختراع مقياسي الخير والشر هذين بغية استعمالهما في حياته، وما هي قيمة هذين المقياسين بحد ذاتهما؟ هل أديا حتى الآن إلى عرقلة تطور البشرية أم إلى تعزيز هذا التطور؟ هل هما عارض من عوارض البؤس والفقر الروحي والانحطاط؟ أم إنهما ينمان، بالعكس، عن الغبطة والقوة والعزم على العيش والشجاعة والثقة بالمستقبل والحياة؟ وللرد على هذا السؤال، لاحظ نيتشه أن لديه في داخله العديد من الأجوبة المتعددة، وأنه شرع يميز بين العصور والأفراد، إلى أن تمكن من غزو تربة خاصة به، والوصول إلى عالم بأسره مجهول المعالم.[1]

ينعكس هذا الأصل الوحيوي للأخلاق في علم الحكمة الإسلامية في أن الإسلام لم يفصل أبداً بين الأخلاق وبين الحياة الاجتماعية بمختلف قطاعاتها، فهو لم يفصل بين الاقتصاد والأخلاق، أو بين العلم والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، أو الحرية والاخلاق، وذلك لأن الإسلام رسالة أخلاقية، وبهذه الطريقة لم يفصل الإسلام بين الدين والدولة، ولهذا لم يقبل الإسلام ما قبلته أوربا من الفصام النكد بين الدين والدولة، والانفصال المشؤوم بين الدين والدنيا، وما نادت به الرأسمالية من الانفصال بين الاقتصاد والأخلاق. إنه لا يجيز أبداً تقديم الأغراض الاقتصادية على رعاية المثل والفضائل التي يدعو إليها الدين، على حين نجد النظم الاقتصادية الأخرى تدعو إلى

[1] نيتشه: "أصل الأخلاق وفصلها"، ترجمة حسن قبيسي، بدون بيانات أخرى، ص ١١.

الكسب ولو أدى ذلك أن يكون هذا الكسب على حساب الأخلاق والمبادئ. فالمسلم الفرد والمجتمع المسلم مقيدان بالأخلاق في أي ممارسة أخلاقية يسعيان لتحقيقها.[١]

وبهذه الطريقة حافظ الإسلام على الثبات الأخلاقي للحياة الاجتماعية، وليس كما ذهبت إلى انفصال الأخلاق عن السياسة تمهيداً لفصلها عن الحياة الاجتماعية بشكل كامل تلك الفلسفة الشيطانية التي لنيقولا ميكافيللي والذي توصل إلى أن الإنسان الحيواني السياسي حيوان مفترس، مصلحته سنام خصاله وأخلاقه، وهو لا يتوانى في الفرصة المواتية، عن اقتناصها وخطفها بأي وسيلة كانت، بغض النظر عن الحيلة والوسيلة لذلك، أما الأخلاق فهي بمثابة الشمع الذي يذوب بسرعة، اقتناص المصلحة في هذه اللحظة لا يركن إلى الاخلاق وإنما ينطلق على صاروخ المبادئ السياسية المعاصرة (افعل ثم برر) و (إذا فعلت فأنكر) و(أنت تفرق لتسود أنت) وغير ذلك.[٢]

يسعى علم الحكمة الإسلامية إلى تجاوز الأزمة الاخلاقية التي وقع فيها الإنسان المعاصر، فقد تصور كثير من فلاسفة الأخلاق، يبين د. مصطفى عبده، الأخلاق بصورة علم معياري يحدد السلوك الفاضل وما ينبغي أن يكون، فيجب إضافة فلسفة علمية تفتح أمام الإنسان ملكوت القيم، وإن الحياة الخلقية تفرض على الموجود البشري المشاركة في ملاء الحياة، والتقبل لكل ما له دلالة والتفتح لكل ما ينطوي على قيمة. فالإنسان الحديث متهور وقلق وقد أصبح كائناً غير مبال، ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطن، فلا يستشعر أي دهشة، أو حماسة، وأصبح ينزلق فوق سطوح الأشياء دون أن

[١] د. يوسف القرضاوي: "دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الاسلامي"، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ص ٥٧.

[٢] محمد مختار الزقوقي" "الاخلاق والسياسة"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٨.

يفطن إلى خوائه الباطن. أما الإنسان الأخلاقي والذي نريده أن يكون واعياً بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة لتذوق قيم الحياة بكل ما فيها من خصوبة ووفرة. ومهمة الفيلسوف الأخلاقي هي الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق لكي يسترد حاسته الخلقية ليرى القيم ويدرك المعاني ويحس بالجمال. [١]

ونؤكد للدكتور مصطفى عبده أن الحل سهل جداً أمام الإنسان للخروج من نفق الأزمة الأخلاقية التي يعاني منها، إن هذا الحل يكمن في بناء الأخلاق على أسس الحكمة الأخلاقية الإسلامية الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبهذه الطريقة يتسنى للإنسان استرجاع كل حاسته الأخلاقية بما يساهم في بناء عالم أفضل.

وهنا نؤكد أن الارتباط بين الأخلاق والوحي هو الشرط للبناء الأخلاقي في علم الحكمة الإسلامية، وليس كما ذهب د. عادل ظاهر في أنه من أجل أن تكون قاعدة ما خلقية ينبغي أن يتوافر فيها الشرط الكانطي وأن يكون العمل بموجب هذه القاعدة إلزامياً بصورة مطلقة بمعنى أن لا تكون الاعتبارات التي تبطل هذا الإلزام سوى اعتبارات نابعة من قواعد أخرى من نوعها. لكني أوافق د. ظاهر في أنه ينبغي أن تتسم هذه القاعدة بالاتساق الذاتي وأن تكون موجهة لكل شخص فعلي وممكن وأن تكون معنية بتأمين المصالح الأساسية للجميع بالتساوي. [٢]

وبمنهجية المطالبة إلى أخلاق الوحي، يشتغل علم الأخلاق في الحكمة الإسلامية على تجاوز الأخطاء والعثرات التي وقع فيها علم الأخلاق البورجوازي حين يشير جميع

[١] د. مصطفى عبده: "فلسفة الاخلاق"، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٢١ – ٢٢.
[٢] د. عادل ظاهر: "نقد الفلسفة الغربية: الاخلاق والعقل"، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠ م، ص ٤٠١.

الباحثين البورجوازيين في علم الأخلاق المعاصر إلى أن تأثير علم الأحكام الأخلاقية اضمحل بشدة في أواخر القرن العشرين. والعديد من المتيقنين من أن الفلسفة الأخلاقية تعتمد على الخطأ ثانية، يرونها في الحماس الزائد للبحث عن أكثر التعريفات مناسبة للمفاهيم الأخلاقية والقبول بالبراهين الأخلاقية تاركين في الظل مسألة أكثر أهمية وهي العلاقة بين أسس الأحكام الأخلاقية وأفعال الناس التطبيقية. كما استطاعت العملية الاجتماعية أن تقود الفلاسفة البورجوازيين في نهاية المطاف بالضرورة إلى التسليم بأنه من الصعب إحداث فجوة، كما حدث في علم الأحكام الاخلاقية، بين مضمون الأحكام الأخلاقية ومعناها، ولذلك لا توجد هناك قاعدة لمطابقتها مع فلسفة الأخلاق. فقد وصف الفلاسفة البورجوازيون حالة علم الأخلاق المعاصر بأنه: "علم زائل"، وقالوا: "يحدث الآن تفتت لفكرة علم الأخلاق". وكتب الفيلسوف الأمريكي تيلي في سبعينيات القرن العشرين: "إن علم الأخلاق لم يعد موجوداً كعلم طالما أنهم يعتبرون أن مادته هي تحليل الكلمات في الحكم الأخلاقي، وليس الأفعال، وبالتالي فهو لا يتناول أية مسائل غنية المضمون". ونجد الفكرة نفسها في كتاب الفيلسوف الأمريكي دانيم: "علم الأخلاق الميت والحي". [1]

[1] الأفكار أعلاه عن أزمة الاخلاق البورجوايزة نقلاً عن شفارتزمان: "الأخلاق البورجوازية في العصر الحاضر: الوهم والحقيقة"، ترجمه عن الروسية محمود شعبان، ط١، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٢٧.

الخاتمة

وإذ نصل إلى خاتمة الكتاب، نود الإشارة إلى أننا قد انتهينا إلى النتائج الآتية:

١. حدّدنا المفهوم الدقيق لعلم الحكمة الإسلامية بأنه ما قال الله سبحانه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاء به الأنبياء والمرسلون من ربهم صلوات الله وسلامه عليهم، و عددنا أن كل من اقتفى هذا الطريق (الصراط المستقيم) فهو بالضرورة مقتف للحكمة الإسلامية، متبع لها، وعامل بها.

٢. أكدنا أن علم الحكمة الإسلامية أيضاً هو العلم الوارد في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة من الخلفاء الراشدين وأهل بيت النبوة وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

٣. أكدنا أن القرآن الكريم كله حكمة، وهو المصدر الأول لعلم الحكمة الإسلامية.

٤. وبينا أيضاً أن السنة النبوية كلها حكمة، وهي المصدر الثاني لعلم الحكمة الإسلامية.

٥. إن علم الحكمة الإسلامية مرادف للفقه في الدين.

٦. إن أهم مهمات علم الحكمة الإسلامية المعرفة بالله سبحانه: إلهاً وخالقاً ورازقاً ومدبراً، فهو علم إخلاص العبودية لله سبحانه، وهو علم التوكل على الله سبحانه، وهو علم الرضا بقضاء الله وقدره، وهو علم التوبة إلى الله تعالى.

٧. وعلم الحكمة الإسلامية علم للاعتبار والتفكر والتدبر بالحال والمآل والمصير والنهاية الحتمية للإنسان والكون.

٨. وأكدنا أن علم الحكمة الإسلامية علم بضرورة الرسول والرسالة.

٩. التوحيد هو الحكمة. ويستخلص علم الحكمة الإسلامية مبادئ التوحيد من أصلي الحكمة الإسلامية: القرآن الحكيم والسنة النبوية. الحكمة أيضاً هي التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من عند ربهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تؤدي بالضرورة إلى توحيد الله سبحانه ومعرفته جل وعلا.

١٠. يركّز علم الحكمة الإسلامية على دراسة السنة والسيرة النبوية من أجل استخلاص دروس العلم والعمل فيما يتعلق بالنظرة للتاريخ والحاضر والمستقبل، فالسنة والسيرة النبوية معين لا ينضب من الحكمة.

١١. إن واحدة من مهمات علم الحكمة الإسلامية الأساسية تهيئة الإنسان ليوم القيامة، والاستعداد ليوم المعاد.

١٢. علم الحكمة الإسلامية يقلب المعادلة الحداثية رأساً على عقب، لأنه يجعل هم الإنسان الأعظم في عبادة الله سبحانه، وفي اتباع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وفي الاستعداد ليوم المعاد.

١٣. لأن علم الحكمة الإسلامية هو العلم المبني على أسس الوحي (القرآن الحكيم والسنة النبوية) إذن تشكل هذه القيمة المنهج الرئيس للعقل في استخراج مسائل الحكمة الموجودة في المصدرين العظيمين المذكورين، وإعادة تفسير كل المسائل المرتبطة بالله سبحانه والنبوة والمعاد والإنسان والكون على أساسهما، وهذا ما توصلنا إليه.

١٤. قررنا أن الثقافات اليونانية والفارسية والهندية القديمة كانت ثقافات مبنية على أساس الوثنية، ومتشربة لمبادئ العبودية للصنم، أما الثقافة الإسلامية فقد تأسست منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أساس التوحيد. وقلنا بناء على ذلك: إن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه الفلسفة الإسلامية قديماً ولا تزال تقع فيه إلى الآن هو في تأثرها بالثقافات المبنية على أساس الوثنية، وخصوصاً اليونانية، وكان يتعين عليها أن تقف موقف الناقد البصير من مسألة الوثنية في هذه الحضارات وما ينبني عليها من نتائج خطيرة. هذا الخطأ هو أحد المعالجات المركزية التي يقوم بها علم الحكمة الإسلامية في محاولته رد العقل الإسلامي إلى المرجعية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وفي دعوته العقل الإنساني إلى المرجعية ذاتها.

١٥. بيّنا أن معرفة الله سبحانه الرد الذي تقدمه الحكمة الإسلامية على الوثنية في الفلسفة عبر العصور، وعلى العقائد الجاهلية السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام والتي كانت تعج بالأرباب المختلفة،

١٦. شددّنا أن المعرفة بالله سبحانه أساس الحكمة الإسلامية، وهي خلاصة العلم، ومنها تنطلق النظرة إلى كل مسائل الوجود، وليس كما اعتقد الماديون أن النظرية المادية في المعرفة تبدأ إذن بالضرورة لا بالمعرفة ذاتها، بل هي تبدأ بالواقع المادي الذي هو انعكاس له.

١٧. بمنهاج العبودية الخالصة لله سبحانه، اقترحنا إعادة النظر في مفهوم الفلسفة.

١٨. علم الحكمة الإسلامية يفكر بالأبعاد كلها النظرية والعملية، الدينية والدنيوية، الأخلاقية والقيمية، الزمنية والروحية، من خلال إعطاء كل بعد من هذه الأبعاد ما يستحق من قيمة حقيقة، ويتم هذا التقييم استناداً إلى مبادئ الوحي نفسه.

١٩. يطلب علم الحكمة الإسلامية من العقل الإنساني أن يستظل بظل الشرع في التفكير بكل القضايا التي تعترضه، وأن يحاول إيجاد الحلول لكل المشكلات من خلال المفاهيم التي يطرحها الوحي (القرآن والسنة).

٢٠. جوهر رؤية علم الحكمة الإسلامية للتاريخ أن الحكمة ممثلة بالدين الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت من أجل الدعوة إلى التوحيد

وعبادة الله سبحانه وطاعة الأنبياء ورفض عبادة ما سوى الله عز وجل، وما يرتبط بهذه الحكمة العظيمة من مسائل اجتماعية وسياسية واقتصادية وأخلاقية وقيمية وجمالية، وهذا المعيار هو القول الفصل في عملية المراجعة النقدية للتاريخ. وبهذا، فالحكمة الإسلامية عبر التاريخ، كانت بالتأكيد تقف موقف الضد من أي دعوة وثنية أو تأليهية لما سوى الله سبحانه.

٢١. الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تقدم مفاهيم كاملة ونهائية عن الإنسان. وبالطبع، فإن الحكمة القرآنية والنبوية هي المقياس في نقد (مفاهيم الأنسنة الغربية) وغيرها عن الإنسان.

٢٢. لن يسمح علم الحكمة الإسلامية بأن يحل أي شيء، كما فعلت الحداثة الدنيوية وما نتج عنها من الهيومانيزم، محل الله سبحانه، بل نؤكد على ضرورة العبودية لله سبحانه في كل زمان ومكان.

٢٣. الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية تستمد أسسها من توحيد الله سبحانه، فموارد علم الأخلاق الإسلامي: القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما المصدران الأصليان الذي تستمد منه الأخلاق في علم الحكمة الإسلامية. وبهذه الطريقة نصل إلى ثبات المبادئ الأخلاقية بالرغم من تغير الزمان والمكان والأشخاص. إن الأخلاق الإسلامية أخلاق إيمانية وعملية في الوقت نفسه. ولذلك، فالدين هو الأصل الذي ينبغي على الأخلاق أن ترجع إليه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم والسنة النبوية.

١-الآلوسي، د. حسام محيي الدين: "التطور والنسبية في الأخلاق"، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٩م.

٢-أرسطو: "منطق أرسطو"، حققه وقدم له د. عبد الرحمن بدوي، ط١، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م.

٣-_____: "دعوة للفلسفة (بروتر يبتيقوس)": كتاب مفقود لأرسطو، قدمه للعربية مع تعليقات وشروح د. عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية للعامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٤-_____: "كتاب النفس"، نقله إلى العربية الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الدكتور جورج شحاته قنواتي، ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٩م.

٥-الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "تهذيب اللغة"، تحقيق، محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.

٦-ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ): "سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٧-الاسفراييني (ت ٤٧١ هـ): "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١،عالم الكتب – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨-الأشعري، أبو الحسن (ت ٣٢٤هـ): "رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب"، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

٩-الأصبهاني، أبو الشيخ (ت ٣٩٦ هـ): "أخلاق النبي وآدابه"، تحقيق صالح بن محمد الونيان، ط١، دار المسلم، ١٩٨٨م.

١٠- _____: "كتاب الأمثال في الحديث النبوي"، الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، الدار السلفية – بومباي – الهند، ١٤٠٨ – ١٩٨٧م.

١١- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: ٤٣٠هـ): "دلائل النبوة"، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

١٢- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ونسخة أخرى طبعة السعادة –بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٣- الأطرابلسي، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي (المتوفى: ٣٤٣هـ): "جزء من حديث خيثمة الأطرابلسي، ط١، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ٢٠٠٤.

١٤- ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ): "معجم ابن الأعرابي"، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٥- أفلاطون: "المحاورات الكاملة"، نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

١٦- الألباني (ت ١٤٢٠ هـ): "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

١٧- _____: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض".

١٨- _____: "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٩- إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ): "لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة"، تحقيق فوقية حسين محمود، ط٢، عالم الكتب - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- إمام، عبد الفتاح إمام: "الأخلاق والسياسة: دراسة في فلسفة الحكم"، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١م.

٢١- الأنباري، أبو بكر بن (المتوفى: ٣٢٨هـ): "الزاهر في معاني كلمات الناس"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

٢٢- الإيجي (ت ٧٥٦هـ): "كتاب المواقف"، عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل - لبنان - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣- إيزوتسو، توشيهيكو: "الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٤- البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ دار

طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٢٥- بدوي، د. السيد محمد، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠م.

٢٦- البزار (ت ٢٩٢ هـ): "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار"، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، ط١، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٧- البغوي (ت ٥١٦ هـ): "شرح السنة"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٨- بورديو، بيار: "أسباب عملية: إعادة النظر في الفلسفة"، ط١، دار الأزمنة الحديثة، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٩- البيهقي، أبو بكر (المتوفى: ٤٥٨هـ): "الآداب"، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٠- _____: "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

٣١- _____: "المدخل الى السنن الكبرى"، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، بدون تاريخ.

٣٢- _____: "شعب الايمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٣- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ: "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٣٤- _____: "الشمائل المحمدية"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- التفتازاني: "شرح المقاصد في علم الكلام"، ط١، دار المعارف النعمانية – باكستان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٣٦- تورين: "نقدالحداثة"، القسم الأول: "الحداثة المظفرة"، ترجمة صياح الجهيم، منشورات وزراة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م.

٣٧- ابن تيمية: "الرد على المنطقيين"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٣٨- _____: "الصفدية"، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، مكتبة ابن تيمية، مصر، ١٤٠٦هـ.

٣٩- _____: "جامع الرسائل"، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، دار العطاء – الرياض، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤٠- _____: "مجموع الفتاوى"، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤١- _____: "العبودية"، تحقيق محمد زهير الشاويش، ط٧، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م.

٤٢- _____:" بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية"، تحقيق موسى الدويش، ط٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٣- _____: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٤٤- الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): "التعريفات"، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٥- الجزري، ابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ): "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٦- جوته، يوهان: "الآم فيرتير"، ترجمة د. فؤاد فريد، منشورات المكتبة الحديثة، ودار المشرق العربي، بيروت.

٤٧- الجوزي، ابن (٥٩٧ هـ): "غريب الحديث"، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

٤٨- جوليفيه، ريجيس: "المذاهب الوجودية: من كيركجورد إلى سارتر"، ترجمة فؤاد كامل، ط ١، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٩- الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٠- الجوهري (ت ٤٥٤ هـ): "مجلس في التواضع"، تحقيق الدكتور حسين آيت سعيد، ط١، دار البشائر الإسلامية [ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر (١٠٦)]، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٥١- الجيلاني، عبد القادر (ت ٥٦٠ هـ): "الفتح الرباني والفيض الرحماني"، دار الريان للتراث، بدون بيانات أخرى.

٥٢- ابن الحاج القناوي (ت ٥٩٨هـ): "حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر"، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٥.

٥٣- الحاكم: "المستدرك على الصحيحين"، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري

المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٥٤- ابن حبان، محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٥٥- الحجاج، مسلم بن (أبو الحسن القشيري النيسابوري) (المتوفى: ٢٦١هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٦- ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ): "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق د. احسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت، بدون تاريخ.

٥٧- الحسني، السيد محمد بن السيد علويبن السيد عباس المالكي: "محمد: الانسان الكامل"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧.

٥٨- حسين، رواء محمود: "الحداثة المقلوبة: نقد النقد الاوربي حول مفهوم الدين وماهية الفلسفة وإيديولوجيا العلم"، ط١، المركز العلمي، بغداد، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١١م.

٥٩- _____: "إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة: دراسة وصفية"، ط١، دار الزمان، دمشق، ٢٠١٠ م.

٦٠- _____: "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الإسلامية: دراسات منتخبة"، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

٦١- _____: "طه عبد الرحمن والمراجعة النقدية للعولمة"، بحث منشور في كتاب: "أزمة الفلسفة في العالم العربي"، أعمال المؤتمر الفلسفي الثامن لبيت الحكمة البغدادي، إشراف ومراجعة أ. د. حسام الالوسي، إعداد م.م. هديل سعدي موسى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٩ م.

٦٢- _____: "ما وراء الغرب: الانتحار والعدمية والتدهور"، منشور في موقع الحوار المتمدن، الحوار المتمدن، العدد ٣٩٦١، ٢٠١٣/١/٣، على الرابط الاتي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=339503

٦٣- _____: "مناقشة مع دكتور حسام الآلوسي: التطور والنسبية في الأخلاق يلغي الأخلاق أصلاً"، موقع الحوار المتمدن، العدد ٣٨٣٣، ٢٨/ ٨/ ٢٠١٢.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=321776

٦٤- الحميدي: المسند (ت ٢١٩هـ)، تحقق نصوصه وخرج أحاديثه حسن سليم أسد الدَّارَانيّ دار السقا، دمشق – سوريا، ١٩٩٦ م.

٦٥- حنبل، مسند الإمام أحمد بن (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني) (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط –

عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٦- _____: "العقيدة"، رواية أبي بكر الخلال، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، ط١، دار قتيبة، ١٤٠٨ هـ.

٦٧- حنفي، د. حسن: " من العقيدة إلى الثورة: ١-:المقدمات النظرية"، ضمن مشروع التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم"، ط١، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٦٨- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ): "الفقه الأكبر"، منسوب (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ط١، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٩- الخازن (ت ٧٤١هـ): "باب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ.

٧٠- الخرائطي (ت ٣٢٧ هـ): "مساوئ الأخلاق ومذمومها"، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٧١- ابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، (المتوفى: ٥٨١هـ): "العاقبة في ذكر الموت"، المحقق: خضر محمد خضر، ط١، مكتبة دار الأقصى - الكويت، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٧٢- الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ): "شرف المصطفى"، ط١، دار البشائر الإسلامية – مكة ، ١٤٢٤.

٧٣- الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

٧٤- أبو داود (ت ٢٧٥ هـ): "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. ونسخة أخرى تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٧٥- _____: "الزهد"، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط ١، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٧٦- ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ): "الإخلاص والنية"، حققه وعلق عليه: إياد خالد الطباع، ط١، دار البشائر، ١٤١٣ هـ.

٧٧- _____: مجموعة رسائل بان أبي الدنيا كتاب التوكل على الله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٧٨- _____: "الرضا عن الله بقضائه"، المحقق: ضياء الحسن السلفي،ط١، الدار السلفية – بومباي، ١٤١٠م.

٧٩- _____: "الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان"، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، ط١، دار البشير – عمان، ١٤١٣ – ١٩٩٣.

٨٠- _____: "كتاب التوبة"، حقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر.

٨١- _____: رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق والورع (ت ٢٨١ هـ)، جمعها وضبطها وخرج أحاديثها وعلق عليها أبو بكر بن عبد الله سعداوي، ط١، المنتدى الإسلامي – الشارقة، المركز العربي للكتاب، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٨٢- الدينوري، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ): الجراثيم"، تحقيق محمد جاسم الحميدي، قدم له الدكتور مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، بدون تاريخ.

٨٣- _____: "غريب الحديث"، تحقيق د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني – بغداد، ١٣٩٧.

٨٤- الذهبي (ت ٧٤٨هـ): "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، تحقيق محب الدين الخطيب، بدون بيانات أخرى.

٨٥- الرازي (ت ٦٦٦ هـ) : "مختار الصحاح"، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٨٦- _____: "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨٧- الرازي الطبيب أبو بكر، محمد بن زكريا (المتوفى: ٣١٣هـ): "رسائل فلسفية"، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٨٨- ابن رشد (ت ٥٩٥هـ): "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط٢، دار المعارف، بدون تاريخ.

٨٩- روا، أولفييه: "الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة"، ترجمة صالح الأشمر، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م.

٩٠- الزقوقي، محمد مختار: "الاخلاق والسياسة"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٩١- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ١ / ٢٠٠٦.

٩٢- _____: " الفائق في غريب الحديث والأثر"، تحقيق علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة – لبنان، بدون تاريخ.

٩٣- _____: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (ت ٥٣٨ هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٩٤- ابن ابي زمنين (ت ٣٩٩ هـ): "أصول السنة"، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم

بن حسين البخاري، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، ١٤١٥ هـ.

٩٥- زيدان، د. عبد الكريم: "المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة"، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٦- سبينوزا: "علم الأخلاق"، ترجمة جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر بدون تاريخ، تونس.

٩٧- السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ): "كلمة الإخلاص وتحقيق معناها"، المحقق: زهير الشاويش، ط٤، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٣٩٧.

٩٨- ابن سيده: "المحكم والمحيط الاعظم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩٩- ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ): "القانون في الطب"، المحقق ومن وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، بدون بيانات أخرى.

١٠٠- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ): "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق أ. د محمد إبراهيم عبادة، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م.

١٠١- ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ): "الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك"، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٠٢- شفارتزمان: "الأخلاق البورجوازية في العصر الحاضر: الوهم والحقيقة"، ترجمه عن الروسية محمود شعبان، ط١، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٦م.

١٠٣- الشواف، ديوان الأساطير: سومر وآكاد وآشور، الكتاب الثاني: الآلهة والبشر، نقله إلى العربية وعلّق عليه قاسم الشواف، قدّم له وأشرف عليه أدونيس، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧ م.

١٠٤- ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ): "مصنف ابن أبي شيبة"، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٠٩ هـ.

١٠٥- صالح، هاشم: "مدخل إلى التنوير الأوربي"، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥ م.

١٠٦- الصنعاني، محمد بن اسماعيل: "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"، ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ط١،مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٠٧- طباطبائي، الاستاذ مصطفى: "المسلمون في مواجهة المنطق اليوناني: نقد علماء المسلمين لمنطق أرسطو وموازنته بمنطق الفلاسفة الغربيين"، ترجمه من الفارسية عبد الرحيم ملازئي البلوشي، ط١، دار ابن حزم، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠.

١٠٨- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ): "المعجم الكبير"، تحقيق حمدي بن عبد المجيد

السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).

١٠٩- _____: "المعجم الاوسط"، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

١١٠- _____: "الروض الداني (المعجم الصغير)"، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

١١١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ): "تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري"، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، ط٢، دار التراث – بيروت، ١٣٨٧ هـ.

١١٢- ظاهر، د. عادل: "نقد الفلسفة الغربية: الاخلاق والعقل"، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠ م.

١١٣- عبد الباقي، محمد فؤاد: "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة.

١١٤- عبد الحميد، د. محسن: "الفكر الإسلامي: تقويمه وتجديده"، ط١، دار الانبار، العراق، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.

١١٥- عبد الرحمن، طه: "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ م.

١١٦- عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري الصنعاني: (المتوفى ٢١١ هـ): تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٤١٩هـ.

١١٧- عبده، محمد (ت ١٣٢٣هـ): "رسالة التوحيد"، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

١١٨- عبده، د. مصطفى: "فلسفة الاخلاق"، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة.

١١٩- العبدي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه (ت ٣٩٥هـ): "الإيمان لابن منده"،تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦.

١٢٠- ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ): "شرح العقيدة الطحاوية"، تحقيق أحمد شاكر، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ، ص٣١، ٣٩، ونسخة أخرى، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، ط١، الطبعة المصرية الأولى، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٨١، ونسخة ثالثة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٢١- ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): "مدح التواضع وذم الكبر"، تحقيق، محمد عبد الرحمن النابلسي، ط١، دار السنابل. سوريه – دمشق، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٢٢- العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢): "الأمالي المطلقة"، تحقيق حمدي بن عبد المجيد بن اسماعيل السلفي، ط١، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤١٦ هـ –١٩٩٥م.

١٢٣- عفيفي، الشيخ عبد الرزاق: "الحكمة من إرسال الرسل: منهج الرسل في الدعوة إلى الله، الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله"، ط٢، دار الصميعي، السعودية، ١٤٢٠ هـ.

١٢٤- العكبري، ابن بطة (ت ٣٨٧ هـ): "الابانة الكبرى"، جـ ٦: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ.

١٢٥- العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ): "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار" تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٢٦- ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله (ت ١٣٢٧هـ): "توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم"، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٦.

١٢٧- عيينة، سفيان بن (ت ١٩٨ هـ): "جزء حديث سفيان بن عيينة"، برواية: أبي يحيى زكريا بن يحيى بن أسد المروزي (ت ٢٧٠ هـ)، تحقيق: مسعد بن عبد الحميد السعدني، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٢٨- غارودي، روجيه: "النظرية المادية في المعرفة"، تعريب ابراهيم قريط، دار دمشق، دمشق، بيروت، بدون تاريخ.

١٢٩- الغزالي : "تهافت الفلاسفة"، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف، القاهرة – مصر.

١٣٠- _____: "الاقتصاد في الاعتقاد"، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٣١- _____: " المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، الجفان والجابي – قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

١٣٢- _____: "قواعد العقائد"، تحقيق موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٣٣- _____: "معارج القدس في مدراج معرفة النفس"، ط٢، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٥.

١٣٤- _____: "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، الجفان والجابي – قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

١٣٥- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠هـ): "معجم ديوان الادب"، تحقيق دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٣٦- فارس، أحمد بن (ت: ٣٩٥هـ): "مجمل اللغة لابن فارس"، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٣٧- _____: "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣٨- فرانفكورت هـ.، هـ. ا. فرانكفورت، جون ا. ولسن، توركليد جاكبسون: "ما قبل الفلسفة: الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى"، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م.

١٣٩- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ): "كتاب العين"، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤٠- ابن فَقِيه فُصَّة، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين (المتوفى: ١٠٧١هـ): "العين والأثر في عقائد أهل الأثر"، تحقيق عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، ١٤٠٧هـ.

١٤١- فولغين: "فلسفة الأنوار"، ترجمة هنرييت عبودي، مراجعة جورج طرابيشي، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٤٢- الفيومي (ت٧٧٠ هـ): "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٤٣- القرضاوي، د. يوسف: "دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الإسلامي"، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٤٤- القرطبي (ت ٦٧١هـ): "القرطبي الجامع لأحكام القرآن" = تفسير القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٤٥- قطب، سيد (المتوفى: ١٣٨٥هـ): "في ظلال القرآن"، ط ١٧، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ١٤١٢ هـ.

١٤٦- القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ): "قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر"، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

١٤٧- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"،، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٤٨- _____: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني - جدة.

١٤٩- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ.

١٥٠- الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ): "التعرف لمذهب أهل التصوف"، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥١- كلشكوف: "الحياة الروحية في بابل: الإنسان- المصير- الزمن"، ترجمة عدنان عاكف حمودي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا – بيروت، ١٩٩٥ م.

١٥٢- الكيرانوي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ): "إظهار الحق"، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض، ط١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

١٥٣- ليبنتز: "أبحاث جديدة في الفهم الانساني"، "نظرية المعرفة": تقديم وترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة، ١٩٨٣م.

١٥٤- الماتريدي، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ): "التوحيد"، تحقيق د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.

١٥٥- ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ): "سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

١٥٦- ماركيوز، هربرت: "العقل والثورة: هيجل والنظرية الاجتماعية"، الهيئة المصرية العامة للتالفي والنشر، مصر، ١٩٧٠م.

١٥٧- المحاسبي، الحارث بن أسد، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ): "رسالة المسترشدين"، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا، ١٣٩١ – ١٩٧١.

١٥٨- مدكور، الدكتور ابراهيم: "في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيقه"، ط٣، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

١٥٩- المروزي (ت٢٩٤هـ): "السنة"، تحقيق سالم أحمد السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٨.

١٦٠- المزني (ت ٢٦٤ هـ): "شرح السنة معتقد اسماعيل بن يحيى المزني"، تحقيق جمال عزون، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٦١- المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، بدون بيانات أخرى، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١٦٢- معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري (ت ١٥٣هـ): "الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٦٣- المقدسي، الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت ٦٤٣هـ): "اتباع السنن واجتناب البدع"، دراسة وتحقيق: محمد بدر الدين القهوجي، محمد الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٦٤- _____: "الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما"، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٦٥- ابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ): "المعجم"، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٦٦- المقريزي (ت ٨٤٥ هـ): "تجريد التوحيد المفيد"، تحقيق طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٦٧- ابن منظور (ت ٧١١ هـ): "لسان العرب"، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.

١٦٨- الموصلي: "مسند أبي يعلى" (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث – دمشق، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

١٦٩- النسائي (ت٣٠٣ هـ): "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.

١٧٠- _____: "المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي"، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٧١- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ.

١٧٢- نيتشه: "هذا هو الانسان"، ترجمه عن الألمانية علي مصباح، منشورات الجمل، كولونيا – المانيا.

١٧٣- _____: "ما وراء الخير والشر: تباشير فلسفة للمستقبل"، دار الفارابي، بيروت.

١٧٤- _____: "أصل الأخلاق وفصلها"، ترجمة حسن قبيسي، بدون بيانات أخرى.

١٧٥- النيسابوري، عبد الرحمن بن مأمون (ت ٤٧٨هـ): "المغني للإمام المتولي"، تحقيق وتقديم: مارى برنان، المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية ؛ العدد رقم ٧).

١٧٦- هيجل: "محاضرات في تاريخ الفلسفة: مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها"، ط١، ترجمة د. خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

١٧٧- _____: "حياة يسوع"، ترجمة جرجي يعقوب، دار التنوير، بيروت.

١٧٨- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٠٧هـ): "المغازي"، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي – بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٩.

١٧٩- اليافعي (ت ٧٦٨هـ): "مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة"، تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار دار الجيل – لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٨٠- اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ): "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية:

1- Abou Zahab, Mariam, Olivier Roy, Islamist Networks: The Afghan-Pakistan Connection (New York: Columbia University Press, 2004).

2- Adelaja, Sunday, Weisheit: Zugang zur göttlichen Weisheit, dem Schlüssel, um auf Erden zu herrschen (Norderstedt: BoD, 2011).

3- Beaufret, Jean, Guy Basse, De L'existentialisme ā Heidegger: Introduction Aux Philosophies de L'existence et Autres Textes (Vrin: Libraire Philosophique, 2000).

4- Boubekeur, Amel, Olivier Roy, Whatever Happened to the Islamists?: Salafis, Heavy Metal Muslims and the Lure of Consumerist Muslims (New York: Columbia University Press, 2012).

5- Bourdieu, Pierre, Masculine Domination (Stanford: Stanford University Press, 2001).

6- _____: Photography: A Middle-brow Art (Stanford: Stanford University Press, 1990).

7- Emerson, Michael, Olivier Roy, Ethno-Religious Conflict in Europe: Typologies of Radicalisation in Europe's Muslim Communities (Brussels: CEPS, 2009).

8- Child, Peter, Modernism (New York: Routledge, 2000); Tim Armstrong, Modernism: A Cultural History (Cambridge: Polity, 2005).

9- Davis, Tony, Psychology Press, (New York: Routledge, 1997).

10- Dell, Pamela, Socrates: Ancient Greek in Search of Truth (Minneapolis: Compass Point Books, 2007); Socrates: Ironist and Moral Philosopher (New York: Cambridge University Press, 1991)

11- Díaz, Luis Miguel, Manejo de Conflictos Desde la Sabiduría Del Cine Y Las Canciones: Más Chaplin y menos Platón (México: Editorial Pax México, Librería Carlos de Chile, 2005).

12- Fowler, Jeaneane D., Humanism: Beliefs and Practices (Brighton and Oregon: Sussex Academic Press, 1999).

13- Frankfurt, Henri, Ancient Egypt Religion: An Interpretation (New York: Dover Publications, 2000).

14- Girard, Patrick, Olivier Roy, Mathieu Marion, Dynamic Formal Epistemology (Heidelberg: Springer, 2011).

15- Godwin, William Watson, Socrates: A Translation of Apology, Crito and Parts of the Phaedo of Plato (New York: Charles Scribner's Sons, 1879).

16- Heimpel, Wolfgang, Tierbilder In Der Sumerischen Literatur (Rom: Gregorian Biblical BookShop, 1968).

17- Herrick, Jim, Humanism: An Introduction (New York: Promethous Books, 2005).

18- Jastrow, Morris, Aspects of Religious Belief and Assyria (New York and London: G. P. Putnam's Sons, 1911).

19- King, Leonard William, Babylonian Religion and Mythology (London: Kegan Paul, Trench, Trübner, 1903).

20- Kramer, Samuel Noah, the Sumerians: Their History, Culture and Character (London: The University of Chicago Press, 1963).

21- _____, From the Poetry of Sumer: Creation, Glorification, Adoration (Berkeley, Los Angeles, London: University of California Press, 1979).

22- _____, Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C. (Pennsylvania: Pennsylvania University Press, 1972);

23- Leibniz, Political Writings, edited by Patrick Riley (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

24- _____: Philosophical Papers and Letters, A Selection Translated and Edited, with an Introduction by Leroy E. Loemker (Dordrecht: Kluwer, 1989).

25- De Montaigne, Michel Eyquem Dizionario della saggezza: A cure di Roberto Bonchio (Roma: Newton Compton Editori, 2012).

26- Moreau, Pierre-François, Ann Thomson, Eds., Matérialisme et passions (Lyons: ENS Éditions, 2004); Andrew Milner, Cultural Materialism (London: University College London Press, 1993).

27- Navia, Louis E., Socrates: A Life Examined (New York: Prometheus Books, 2007).

28- Rainey, Lawrence ed., Modernism: An Anthology (MA: John Wiley & Sons, 2005).

29- Reich, Wilhelm, Materialismo Dialéctico y Psicoanálisis (México: Primera Edición, 1989).

30- Roy, Olivier, the Failure of Political Islam, Translated by Carol Volk (US: Harvard University Press, 1996).

31- _____, Globalized Islam: the Search for a New Ummah (New York: Columbia University Press, 2004).

32- _____, Secularism Confronts Islam, Translated by George Holoch (New York: Columbia University Press, 2007).

33- _____, Islam and Resistance in Afghanistan (New York: Cambridge University Press, 1990).

34- _____, Holy Ignorance: When Religion and Culture Part Ways, Translated by Ros Shwartz (New York: Columbia University Press, 2010).

35- _____, The New Central Asia: Geopolitics and the Birth of Nations (London: Taurus Co. & Ltd, 2000), Cesare Merlini.

36- _____, Arab Society in Revolt: The West's Mediterranean Challenge, editors (Washington: Brookings Institution, 2012.

37- _____, The Politics of Chaos in the Middle East (Columbia University Press, 2008).

38- _____, Editor, Turkey Today: A European Country? (London: Anthem Press, 2004).

39- Schlanger, Jacques, Impossible Sagesse (Paris: Éditions Métailié, 2007).

40- Schwarz, Théodor Irrationalisme et humanisme: Critique d'une idéologie impérialiste: Raison Dialectique: L'Age de L'Homme (Lausanne: L'Age de L'Homme, 1993).

41- Shafer, Byron Esely, John D Baines, Leonard H. Lesko, David P. Silverman, Religion in Ancient Egypt: Gods, Myths and Personal Practice (New York: Cornell University Press, 1991).

42- Soccio, Douglas J., Archetypes of Wisdom: An Introduction to Philosophy (Boston: Wadsworth, 2012).

43- Stenberg, Robert J., ed., Wisdom: Its Nature, Origins, and Development (Melbourne: Cambridge University Press, 1995).

44- Treichler, Michael, Modernismus und Typologisierung Des Nationalismus: Über Die Wechselwirkung Zweier Bestandteile Von Nationalismustheorien Des 20. Jahrhunderts (Germany: Grin, 2005).

45- Wildenburg, Dorothea, Ist der Existentialismus ein Idealismus?: Transzendentalphilosophische (Amesterdam-New York: Editions Rodobi, 2003).

46- Wittkau-Horgby, Annette, Materialismus: Entstehung Und Wirkung in Den Wissenschaften Des 19. Jahrhunderts (Göttingen: Vandenhoeck, 1998).

47- Wolkstein, Diane, and S. N. Kramer, Inanna: Queen of Heaven and Earth, Her Stories and Hymens from Sumer (New York: Harper & Row Publishers, Inc., 1983)